الجزء الاول — الجامعة — السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية — فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣ — ذو القعدة سنة ١٣٢٠

مقدمة السنة الرابعة

تفتتح الجامعة سنتها الرابعة بحمد الله بارىء النسم وتسأله تعالى الهداية في طريقها والسداد في اقوالها انه المنعم الكريم

ثم هي تهدي خالص شكرها الى حضرات وكلائها ومشتركيها الكرام الذين لم يدخروا وسعاً في الاخذ بيدها تمهيداً لسبيلها جزاهم الله عن المعارف في الشرق خير جزاء

وبما ان اكثر قرّاء الصحافة هم غير مشتركيها على الغالب لان نسبة هؤلاء الى اولئك لا تتجاوز نسبة واحد الى عشرة اي ان الجزء الذي يرد الى مشترك واحد يقرأه حوله عشرة او اكثر . فنحن نغتنم هذه الفرصة في مفتتح هذه السنة ونرجو من هؤلاء القرّاء الذين يزيد عددهم على عدد المشتركين في الجرائد والمجلات عشر مرات كما تقدم ان يسمحوا للجامعة ان تقول لهم بلسان جميع الصحافة انهم مديونون للنهضة الادبية في الشرق بان يتشبهوا بمساعدي عوامل هذه النهضة مساعدة فعلية . اي ان يطالعوا ما يريدون مطالعته من الجرائد والمجلات أخذاً من اداراتها لا استعارة من مشتركيها . ولقد زدنا في هذا العام الف نسخة من الجامعة على النسخ التي كانت تُطبع منها في السنة الماضية . ولكنا على ثقة من ان هؤلاء القرّاء الافاضل الذين لا يُنكر شغفهم بالمطالعة لو عملوا بهذه الملاحظة لزادت

الجامعة في شهر واحد خمسة او ثمانية الآف نسخة على عدد المطبوع منها . وكذلك باقي الصحافة . وبذلك تحصل فائدة غير فائدة ترقية الصحافة الشرقية الى رتبة الصحافة الغربية وهي حفظ اخواننا القرَّاء الذين نعنيهم هنا في مكاتبهم لانسبائهم واولادهم من بعدهم تلك الاوراق الثمينة المملوءَة فوائد وحقائق والتي تسيل عليها نفوس الذين اعدُّوها

ولقد اعلنت الجامعة في سنتها الماضية انها عزمت على ادخال تحسين مهمّ في سنتها الحاضرة . ولا ريب ان القارئ اذا تصفّح هذا الجزء رأى آثار التحسين الجديد فيهِ . فان الجامعة **جدَّدت حروفها كلها** ليكون طبعها اوضح طبع وزادت رسومها حتى بلغت في هذا الجزء ١٤ **رسماً كبيراً** . واتقنت طبعها اتقاناً **لم تبق معه زيادة لمستزيد** . وهي ستستمرّ متبعة الخطة التي رسمتها في هذا الجزء من **نشر الرسوم الكثيرة** في كل جزء منها في مطاوي ما تنشرهُ من المواد الجدية المهمة اذا كان ذلك يُرضي القرَّاء . وفضلاً عن ذلك فقد شرعت **في زيادة ابواب جديدة** على ابوابها المعتادة ولكنها لم تتمكن من فتحها في هذا الجزء لتأخر حفرها بالزنوغراف . ولذلك تؤجلها الى جزء آخر

هذا والجامعة ترى مما يردها من الصدى من جميع الاقطار التي يصل صوتها اليها انها قائمة بالخدمة الصغيرة التي ينتظرها منها قراؤها . وقد قلنا هنا ما نعتقده من انها « خدمة صغيرة » مع ان كثيرين من قرائها من جميع العناصر الشرقية يعتقدون انها « كبيرة لا صغيرة » وان ابناء المستقبل سيذكرونها لها . على ان الجامعة لا تريد ان تنتظر جزاءها من ابناء المستقبل فقط لان ذلك جحود لجميل ابناء العصر الحاضر الذين لم يدخروا وسعاً في تنشيطها والاخذ بناصرها لتمهيد سبيلها . وانما يلتفت العامل الى المستقبل ويضع فيه امله دون سواه ويشتغل ويعمل لهُ لا لسواه حينما يرى ان ابناء العصر لا يفهمونهُ . اما وابناء العصر هم الذين يدفعون الجامعة الى الامام لطلب الحقيقة المجردة ونشر المبادئ بلا تهوُّر ولا ضعف فانها يحقّ لها ان تنتظر جزاءها منهم وماجزاؤها الاَّ رضاؤهم عنها وشدّهم ازرها لتتمكن من اتمام وظيفتها ولذلك هي تعتقد ان قرَّاءها سيكونون في هذه السنة اشدَّ رضىً عنها واكثر اخذاً بيدها منهم في السنوات الماضية . وكل واحد منهم يعتبر نفسهُ صديقاً للمجلة ووكيلاً لها عاملاً على نشرها بين معارفهِ واصدقائه . وفي ذلك ما فيه من الخدمة النافعة لهم ولها . وفقنا الله جميعاً الى ما فيهِ الخير العام ونشر ما يفيد نشرهُ في بلادنا الشرقية

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

ملك شاعر تعيس

﴿ المعتمد بن عباد ملك الاندلس ﴾

(وخصمه ابن تاشفين باني مراكش وامير المغرب)

في هذه الترجمة تاريخ ثلاث دول بين الاندلس والمغرب بتضمن تفصيل حالتها السياسية في اواخر القرن الرابع للهجرة وما كان من الاختباط بين العرب والمغاربة والافرنج حين ضعف ملوك الاندلس

﴿ في كل جزء شرقي وغربي ﴾ رأينا في عام « الجامعة » الجديد ان نوسع باب « المشاهير » توسيعاً تكمل به الفائدة لان تراجم مشاهير الارض عبارة عن تاريخ الارض نفسها . ولذلك عزمنا على ترجمة اثنين من المشاهير في كل جزء : واحد من « **مشاهير الشرق** » و واحد من « **مشاهير الغرب** » في تراجم مشاهير الشرق نقف على **(الادواء والامراض التي فتكت بالشرق وعلى جوانب القوة وجوانب الضعف فيه ليكون ذلك عبرة لابنائه)** وفي تراجم مشاهير الغرب نقف على **(الاصول السياسية والعلمية والادبية والفلسفية التي رفعت الغرب الى مقامه الحالي بعد ان كان دون الشرق بدرجات)** و بذلك يكون (باب المشاهير) في الجامعة عبارة عن تاريخ لذيذ مفيد يشمل **(الماضي والحاضر والمستقبل)** معاً

﴿ حوادث المغرب الاخيرة ﴾ وقد اخترنا في هذا الجزء ترجمة المعتمد بن عباد ملك الاندلس لعلاقة هذه الترجمة بحوادث المغرب التي حدثت في الايام الاخيرة وما فيها من عبرة السياسة وفكاهة الادب و بيان كيفية قيام الدول القديمة في الشرق . ويا لله من عبرة التاريخ . فان رجلاً واحداً طماعاً جاهلاً يدعى « ابا حماره » (و بعض الكتاب الاوربيين يقول انه رجل وهمي لا وجود له) قدر منذ مدة على حصر سلطان مراكش في فاس وكاد يسقطه عن عرشه مع ان الجالس على هذا العرش كان في الايام الغابرة صاحب

السلطان على افريقيا كلها وكان يمدّ يده من المغرب (مراكش) فيخلع ملوك العرب في الاندلس ويوقع بملوك الافرنج الطامعين في املاكه الاندلسية ·

***

﴿ اصل اسرة المعتمد ﴾ لم تكن اسرة المعتمد متصلة بالملك منذ بدء امرها فان جدّها من العريش وكان يُدعى نعيماً · فسافر الى الاندلس واقام بقرب تومين من اقليم طشانه من ارض اشبيلية هو وابن لهُ يُدعى عطافاً · وامتدّ لعطاف هذا عمود النسب الى الظافر محمد بن اسمعيل القاضي فهو اول من نبغ منهم في تلك البلاد حتى ولي قضاء اشبيلية · وكان يحيى بن علي بن حمود الحسني المنعوت بالمستعلي ملك (قرطبة) في ذلك الزمان · وكانت الفتن بين حكام الاندلس قائمة قاعدة · فسار المستعلي ملك قرطبة لاخضاع اشبيلية وكان مذموم السيرة · فلما حصر اشبيلية اتفق اهلها على تولية القاضي محمد بن اسمعيل الذي تقدم ذكره وهجموا على ملك قرطبة فقتلوه وهو سكران · وقد روى ابو محمد ابن حزم الظاهري في كتاب « نقط العروس » رواية غريبة بشأن هذا القاضي الذي ارتقى الى منصة الملك وهي تدلُّ على ذمته وامانته اذا كانت صحيحة · ولكن غرابتها تمنع من تصديقها · وتفصيل ذلك ان الخلافة في الاندلس كانت في اسرة الامويين · وقد ذكرنا في كتاب « ابن رشد وفلسفته » ان الحاجب المنصور وثب على الفتى هشام بن الحكم الخليفة الاندلسي واغتصب السلطنة منهُ · فبعد انقضاء عشرين عاماً على موت هشام هذا ظهر رجل يُقال له « خلف الحصري » وادّعى انهُ هشام وانه كان مختبئاً من الخوف على نفسه · فلما سمع بذلك القاضي محمد بن اسماعيل الذي ولّي اشبيلية ارسل واحضر الرجل من مسجد بقلعة رباح فبايعه الناس وخُطب له على جميع منابر الاندلس · قال ابن خلكان الذي نعتمد عليه في بعض هذه الترجمة « وأقام المدّعي أنه هشام نيفاً وعشرين سنة والقاضي محمد بن اسمعيل في رتبة الوزير بين يديه والأمر اليه الى ان توفي المدعو هشاماً فاستبدّ القاضي محمد بالأمر بعده » نقول ولعلّ هذه القصة لم تخرج عن كونها « أُخلوقة » كما قال محمد بن حزم في كتاب نقط العروس ·

وكانت وفاة القاضي صاحب اشبيلية في سنة ٤٣٣ للهجرة · فخلفه ولده المعتضد بالله · وكان للمعتضد بالله ولدان وهما عمر وعباد · ثم افضى الأمر الى عباد فسمي بفخر الدولة ثم بالمعتضد · وكان جواداً شديداً جميل الوجه مكباً على الملاهي تزوج كثيرات من النساء وخلط في اجناسهنّ فرزق منهنّ عشرين ذكراً وعشرين انثى · ومن شعره

شربنا وجفن الليل يغسل كحله بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر اما بخارها فضخم واما جسمها فدقيق

ثم توفي بعلة الذبحة في سنة ٤٦١ هـ وخلفه ابنه المعتمد على الله ابو القاسم محمد صاحب الترجمة .

***

﴿ المعتمد بن عباد ﴾ ولما ولي المعتمد الحكم وجد نفسه في نعيم مقيم . قال ابن خلكان في ترجمة يوسف بن تاشفين يصف اشبيلية قاعدة ملكه « كانت من اجمل المدن منظراً وموضعها على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بلاد المغرب وحاملة اليه . في غربيه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخاً يشتمل على آلاف (كذا) من الضياع كلها تين وعنب وزيتون . وهذا الموضع هو المسمى شرق اشبيلية . وتمير بلاد المغرب كلها من هذه الاصناف . وفي جانب المدينة قصور المعتمد وابيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء وفيها انواع ما يُحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش » فانصرف ابن عباد الى التمتع بتلك الخيرات . وقد قال عنه ابو الحسن عليّ بن القطاع السعدي في كتابه لمح الملح « انه كان اندى ملوك الاندلس راحةً وارحبهم ساحةً ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء ومألف الفضلاء » نقول ولكن حفظ بلاد الاندلس كان يقتضي يومئذٍ اموراً غير التمتع بالملاذ والطرب لسماع الشعر . فان ملوك الافرنج كانوا قد وحدوا كلمتهم بازاء تفرق كلمة ملوك الاندلس اي حكام اقاليمها واشتغالهم باخضاع بعضهم بعضاً وصمموا على اخراج العرب من البلاد الاندلسية . ولذلك لما وصل الملك الفونس السادس ملك كاستيل الى طليطلة واخذها في سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد صاح الشاعر الطليطلي عبدالله بن فرج بن غرنون ينذر قومه :

حثوا رواحلكم يا أهلَ اندلسٍ فما المقامُ بها الاّ من الغلطِ
السلك ينثر من اطرافه وأرى سلك الجزيرة منثوراً من الوَسَطِ
من جاور الشرّ لم يا من عواقبه كيف الحياة مع الحيّات في سفطِ

ولقد صدق الشاعر فان ملوك الافرنج لم يكونوا يقصدون يومئذٍ باخذهم طليطلة اخضاع ملوك الاندلس لان هؤلاء كانوا يؤدون الجزية لهم اجتناباً للنزاع والقتال ولانقضاء ذلك الزمن الذي كانت فيه الاندلس سلطنة عظيمة يؤدي ملوك الافرنج الجزية لها . وانما كان غرضهم استرداد البلاد من العرب . وهذا هو السبب في رفض ملك الافرنج بعد

اخذه طليطلة الجزية من المعتمد بن عباد اكبر ملوك الاندلس . فانه ارسل اليه يطلب منه ان يتنزل عن الحصون التي بيده ويكون له السهل فقط . فضرب المعتمد الرسول وقتل من كان معه . فلما سمع بذلك ملك الافرنج اخذ يتأهب لمنازلته

اما مشائخ الاندلس وعلماؤها فانهم لما رأوا هذا الخطر اجتمعوا وتشاوروا . ثم اتفقوا على استدعاء يوسف بن تاشفين من افريقيا لمساعدتهم على عدوهم مع ما في عبوره من الخطر . وكان يوسف بن تاشفين سطان المغرب يومئذٍ وهو زعيم الدولة التي كانت تسمى « الملثمين » او المرابطين وهي من البربر . ولذلك قال المعتمد بن عباد حين رؤيته نفسه بين نارين « الفرنج والملثمون ضدان وان دُهينا من مداخلة الاضداد لنا فاهون الامرين امر الملثمين . ولئن يرعى اولادنا جمالهم احبُّ الينا من ان يرعوا خنازير الافرنج »

***

دولة الملثمين وقبل تفصيل الحوادث التالية يحسن بنا ان نذكر شيئًا عن نشأة هذه الدولة القوية التي كان يوسف بن تاشفين رئيسها .

روى ابن الاثير في الجزء العاشر من تاريخه الكامل ابتداء دولة « الملثمين » فقال : قيل كان سبب تلثمهم ان طائفة من لمتونة خرجوا للغزو فخالفهم عدوٌّ لهم الى بيوتهم ولم يكن بها الاَّ المشائخ والصبيان والنساء . فلما تحقق المشائخ انه العدو قادم عليهم امروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن حتى لا يُعرفن ويتقلدن السلاح . ففعلن ذلك . فلما اشرف العدو ظنهنَّ رجالاً فقال : هؤلاء عند حرمهم يقاتلون عنهنَّ قتال الموت والرأي ان نسوق النعم ونمضي فان تبعونا قاتلناهم . و بينما هم يجمعون الانعام من المراعي اذ قد أقبل رجال الحيّ فهجم عليهم النساء من جانب والرجال من جانب فقتلوا منهم كثيرين . وقد قُتل من النساء اكثر منهم . ومن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يُعرف الشيخ من الشاب . نقول ولعلَّ هواء الصحراء ونسفه الرمال على الوجوه مع شدة الحر هي التي جعلتهم يتخذون اللثام سنة . وقد قال الشاعر في هذا اللثام متزلفًا اليهم

قومٌ لهم درك العلا في حميرٍ وان انتموا صنهاجة فهمُ همُ
لما حووا احراز كل فضيلةٍ غلب الحياء عليهم فتلثموا

فمن ذلك يظهر انهم كانوا ينسبون الى حمير . وكانوا عدة قبائل اشهرها لمتونه وجداله ولمطه . قال ابن الاثير . وكان اول مسيرهم من اليمن ايام ابي بكر الصديق رضي الله عنه فسيرهم الى الشام وانتقلوا الى مصر ودخلوا المغرب مع موسى ابن نصير وتوجهوا مع

طارق (فاتح الاندلس) الى طنجه . ثم انهم احبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها لهذه الغاية . ففي سنة ٤٤٨ هـ توجه رجل منهم اسمه جوهر من قبيلة « جدالة » الى افريقيا طالباً للحج فمرّ بفقيه بالقيروان لعله ابو عمران الفاسي وعنده جماعة يتفقهون فاعجبه حالهم . ولما قفل راجعاً من الحج قصد الفقيه وقال له « ما عندنا في الصحراء من هذا شيء غير الشهادتين والصلاة في بعض الخاصة فابعث معي من يعلمهم شرائع الاسلام . فارسل معه رجلاً اسمه عبدالله بن يس الكزولي فاتيا قبيلة لمتونه (اشهر قبائل الملثمين) فنزل جوهر عن جمله واخذ بزمام جمل عبدالله بن يس تعظيماً لحامل شريعة الاسلام . فاقبل الناس على جوهر وسألوه عن الفقيه فقال « هذا حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء يعلمكم ما يلزم في دين الاسلام » فرحبوا بهما وقالوا اذكر لنا شريعة الاسلام فعرّفهم الفقيه عقائد الاسلام وفرائضه فقالوا « اما ما ذكرتَ من الصلاة والزكاة فهو قريب واما قولك من قتل يُقتل ومن سرق يُقطع ومن زنى يُجلد او يُرجم فامر لا نلتزمه . اذهب الى غيرنا » فرحل جوهر والفقيه عنهم . قال ابن الاثير « فنظر اليهما شيخ كبير فقال لا بدّ وان يكون لهذا الجمل في هذه الصحراء شأن يُذكر في العالم » نقول ولعلّ ذلك قيل من بعد ان صار له ذلك الشأن

ثم انتهى جوهر والفقيه الى جدالة قبيلة جوهر فدعاهم الفقيه والقبائل التي تجاورهم الى حكم الشريعة فمنهم من اطاع ومنهم من أعرض . واجتمع المخالفون وتألبوا فقال عبدالله بن يس الفقيه للذين اطاعوا « قد وجب عليكم ان تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وانكروا شرائع الاسلام واستعدوا لقتالكم فاقيموا لكم راية وقدموا عليكم اميرًا » فقال له جوهر : انت الامير فقال : لا انما انا حامل امانة الشريعة ولكن انت الامير فقال جوهر « لو فعلتُ هذا لتسلط قبيلي على الناس ويكون وزر ذلك عليّ » ثم انهما قصدا ابا بكر بن عمر رأس قبيلة لمتونة وعرضا عليه الامارة فاجاب فسماه الفقيه « امير المسلمين » وجمع اليه مَن حسن اسلامه وحثهم على الجهاد وسماهم « المرابطين » ثم استمالوا اليهم نحو الفي رجل من الذين اعرضوا عن الشريعة فجمعوهم في مكان وخندقوا عليهم ثم قتلوهم وبذلك خلصوا من مقاوميهم ودانت لهم اكثر قبائل الصحراء . ولما انفرد ابو بكر وابن يس بالامر دون جوهر داخله الحسد فشرع سرًا في افساد الأمر فحكم عليه بالقتل لانه نكث البيعة . ثم ضاقت الصحراء بالملثمين فخرجوا منها فحاربهم اهل السوس الاقصى وهزموهم وقتلوا الفقيه ابن يس . فعاد ابو بكر بن عمر فجمع جيشاً من الفي راكب ورجع اليهم فاجتمع عليه منهم ومن زناته اثنى عشر الف فارس

ومنعوه من العبور الى الاندلس حيث كان يقصد للغزو والجهاد . فدعا ابو بكر قائلاً « اللهمَّ ان كنا على الحق فانصرنا والاَّ فارحنا من هذه الدنيا » ثم قاتلهم وصدق هو واصحابه فهزموهم وغنموا اموالهم واسلابهم . وبعد ذلك حارب ابو بكر سجلماسة واخذها . فدانت لهُ تلك الجهات وكان له ابن عم يدعى يوسف بن تاشفين من لمتونة ايضاً فاستعمله على سجلماسة ثم عاد الى الصحراء .

***

﴿ يوسف بن تاشفين صاحب المغرب ﴾ وكان يوسف هذا رجلاً حازماً داهية حسن السيرة فساس الناس سياسة استمالتهم اليه ولم يأْخذ منهم غير الزكاة . وبعد سنة عاد ابو بكر الى سجلماسة وجهزه بجيش لفتح السوس ففتح على يديه . وفي سنة ٤٦٢ توفي ابو بكر بن عمر بالصحراء فاجمعت قبائل المرابطين على تمليك يوسف بن تاشفين ولقبوه « امير المسلمين » وكانت الدولة في بلاد الغرب لزناتة فحاربهم ابن تاشفين واستخرج البلاد منهم بلداً بلداً بايسر سعي . فملأَت سطوته القلوب واحبته رعيته وصلحت احوالهم به . وكانت قبائل المصامدة اشد اهل المغرب فقصد يوسف بن تاشفين جبلهم واختار بقربه بقعة متوسطة في المغرب كالقيروان في افريقيا وبنى فيها مدينة « مراكش » ليتخذها قاعدة لحروبه مع اهل تلك الجبال اخضاعاً لهم وقد جعلها مقرَّه . وكان موضع هذه المدينة ملجأً للصوص ولذلك كان المسافرون يقولون بعضهم لبعض « مراكش » اي مرَّ مسرعاً ومن هنا اشتق اسمها . غير ان الأَمن استتب في ما حواليها بعد اهتمام ابن تاشفين بها . فملك ابن تاشفين البلاد من تلمسان الى ساحل البحر المحيط وفيها سبته وطنجه وسلا وغيرها .

فلما ضخم سلطانه الى هذا الحد طمحت نفسه الى الاندلس فانشأَ السفن لنقل جنوده اليها . فاتفق ملوك الاندلس (العرب) على مقاومته خوفاً على ممالكهم منه واعترضوه بمراكبهم العديدة وهددوه بموالاة الافرنج عليه اذا اراد بهم شراً . ولكن لما قصد الفونس السادس ملك كاستيل وصاحب طليطلة التي جعلها قاعدة بلاد الافرنج محاربة المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وطليطلة وغيره من ملوك الاندلس اتفق الاندلسيون كما تقدم على الاستنجاد بيوسف ابن تاشفين لاختيارهم اهون الشرين . فاجابهم ابن تاشفين وعبر الى الاندلس لمحاربة العدو المشترك ونفسه تحدثه ولا شك بارتياد تلك البلاد التي كانت منبع الثروة والخيرات

ولما عبر يوسف ابن تاشفين الى الاندلس بجيوشه عبر معه من الجمال ما اغصَّ الجزيرة وارتفع رغاؤُها الى عنان السماء ولم يكن اهل الاندلس رأَوا قط جملاً ولذلك كانت خيولهم

تجفل من صورتها وصوتها . فكانت اذا حضرت الجمال الحرب نفرت خيل الافرنج منها .

اما الملك الفونس (اذفونش) فانه لما رأى اجتماع عزائم العرب عليه علم « انه عامٌ نطّاح » فاستنفر الفرنجة للخروج فخرجوا ونزلوا في مكان افيح يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس فلقيهم العرب والمغاربة هناك وجرت بين الفريقين وقعة هائلة كان فيها النصر لجيش يوسف بن تاشفين . ولم يفلت من الافرنج الا الملك وقليلون من جنده . فعاد الامل الى العرب في الاندلس وأمنوا بعض الامن على البلاد التي كانوا يقطنونها

***

ابن تاشفين والاندلس ولما كان المعتمد ابن عباد صاحب قرطبة واشبيلية اكبر ملوك الاندلس يومئذٍ استزار يوسف ابن تاشفين فزاره يوسف في قصره في اشبيلية وشاهد ما فيه من البذخ والترف . وكان معه بعض اصحابه فصاروا ينبهونه الى تامل تلك الحال ويقولون له « ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد واصحابه » وكان من طبع ابن تاشفين الاقتصاد والتدبير وقد صرف عمره في شظف العيش فاجاب مغريه بهذا الجواب البديع « الذي يلوح لي من امر هذا الرجل (يعني المعتمد) انه مضيع لما في يديه من الملك لان هذه الاموال التي تعينه على هذه الاحوال **لا بد ان يكون لها ارباب لا يمكن ابداً اخذ هذا القدر منهم على وجه العدل** »

ثم عاد ابن تاشفين الى المغرب وفي نفسه شيءٌ من بلاد الاندلس ومن المعتمد ابن عباد . اما بلاد الاندلس فقد راقه جمالها وغناها واما ابن عباد فقد ساءه منه ارتيابه فيه وعدم الفته اياه لما بين الذوق العربي وذوق البربر من الاختلاف . ولقد قال ابن عباد قبل عبور ابن تاشفين الى الاندلس « ان مجاورة غير الجنس مؤذنة بالبوار » وربما نصح لابن عباد بعض اصحابه كما روى ابن خلكان بان يحذر ابن تاشفين على ملكه ويغتنم هذه الفرصة ويقبض عليه فوصل هذا الخبر الى ابن تاشفين فتغيَّر على حليفه . وبعد ان عاد ابن تاشفين الى بلاده اقام عسكره في الاندلس لمطاردة ملك الافرنج وجنوده فبعد مدة كتب قائد هذا العسكر سير ابن بكر الى اميره ابن تاشفين يقول انه قد افتتح معاقل في الثغور ورتب فيها حراساً ولكن لا يستقيم لهذه الجيوش ان تقيم بالثغور في ضنك العيش تصابح العدوَّ وتماسيه ويحظى ملوك الاندلس من الارزاق برغد العيش » فالظاهر ان هذا القول اصاب هوىً في نفس ابن تاشفين لانه رأى ان سيد البلاد وصاحبها هو الذي يحميها لا الذي يأكل خيرها فعهد الى قائده اخضاع ملوك الاندلس مبتدءاً من الثغور وان لا يتعرض لابن

عباد ما لم يستولِ على البلاد كلها

⁂

نكبة المعتمد وكان المعتمد يومئذٍ في قصره في اشبيلية مشغولاً بنعيم الدنيا . وكان مولعاً بجواريه وحظاياه . ففي ذات يوم قصد ارسالهنَّ من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهنَّ يشيعهنَّ فسايرهنَّ من اول الليل الى الصبح ثم رجع وانشد في ذلك

سايرتهم والليل اغفل ثوبه حتى تبدى للنواظر معلما

فوقفت ثم مودعاً وتسلمت مني يد الاصباح تلك الانجما

وكتب من قصره في قرطبة الى ندماء لهُ اصطبحوا بالزهراء القصر المشهور في ضواحيها يدعوهم الى الاغتباق في قصره

حسد القصرُ فيكم الزهراءَ ولعمري وعمركم ما اساءَ

قد طلعتم بها شموساً نهاراً فاطلعوا عندنا بدوراً مساءَ

ولكن المعتمد مع اشتغاله بهذه الملاذ فانه كان مشغول الفكر من جهة ملكه هو وابناؤه . قيل ان ابنه الرشيد كان في مجلس انس فأمر ابا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى

يادارمية بالعلياء فالسند اقوتْ وطال عليها سالف الابدِ

فاستاء وتطير وامر بالغناء من ستارته فغنت احدى الجواري

ان شئتَ ان لا ترى صبراً لمصطبرٍ فانظر الى اي حالٍ اصبح الطللُ

فاشتد استياؤه وتطيره فامر جارية أُخرى بالغناء فغنت

يا لهفَ نفسي على مالٍ افرقه على المقلينَ من اهل المروءاتِ

انَّ اعتذاري الى من جاء يسالني ما ليس عنديَ من احدى المصيباتِ

وكان ابن اللبانة الشاعر حاضراً فقام وارتجل ابياتاً محا بهـا تطير الامير ووصف ملكه بالقوة والثبات

وكان ذلك في عام ٤٨٣ ه . ففي العام التالي وصلت جيوش يوسف ابن تاشفين بقيادة سير ابن ابي بكر الى اشبيلية قاعدة ملك المعتمد وحصرته فيها . قال ابن خلكان « وظهر من مصابرة المعتمد (في الحصار) وشدة بأسه وترامية على الموت بنفسه ما لم يُسمع بمثله . والناس بالبلد قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع . يقطعون سبلها سباحة . ويخوضون نهرها سباحة . ويترامون من شرفات الاسوار . فلما كان يوم الاحد لعشرين من رجب سنة اربع وثمانين واربعمائة هاجم عسكر الامير يوسف البلد وشنوا فيهـا الغارات ولم

يتركوا لاحد شيئاً · وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بايديهم » وكان الافرنج في هذه الحرب يعاونون العرب على جيش ابن تاشفين لخوفهم منه

اما المعتمد فانهم قيدوه وجعلوه مع جميع اهله في سفينة وارسلوهم الى المغرب · وفي ذلك قال ابن خاقان في قلائد العقيان « وحملتهم الجواري المنشئات · وضمتهم كانهم اموات · بعد ما ضاق عنهم القصر · وراق منهم العصر · والناس حشدوا بضفتي الوادي · يبكون بدموع الغوادي » وقال ابن اللبانة في ذلك

تبكي السماءُ بدمعٍ رائحٍ غادي · على البهاليل من ابناء عبادِ
على الجبال التي هدت قواعدها · وكانت الارض منها تحت اوتادِ
ياضيف اقفر بيتُ المكرمات فخذ · في ضم رحلك واجمع فضلة الزادِ

وهي قصيدة طويلة · وقال ابو محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي من قصيدة طويلة ايضاً ·

جرى لك جد بالكرام عثورُ · وجار زمانٌ كنتَ منه تجيرُ
ولما رحلتم بالندى في اكفكم · وقلقل رضوى منكم وثبيرُ
رفعتُ لساني بالقيامة قد دنتْ · فهذي الجبال الراسيات تسيرُ

***

شعره وحاله في نكبته وقد ارسل ابن تاشفين المعتمد واهله الى « اغمات » وهي قرية صغيرة بالقرب من مدينة مراكش بينهما مسافة يوم مشياً وسجنهم فيها واساء في معاملتهم · قال ابن الاثير « فابان بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة » وصار فضلاء البلاد يراسلون المعتمد بالنظم والنثر وهو في سجنه · اما اهل المعتمد فانهم سجنوا مثله ايضاً وكان بناته يغزلن للناس باجرة لينفقنها عليهم · وفي يوم عيد دخل على المعتمد في سجنه بعض بنيه « وفيهم بناتــه وعليهنَّ اطمار كأنها كسوف وهنَّ اقمار واقدامهنَّ حافية وآثار نعمتهنَّ عافية » كما روى ابو الفداء · فقال المعتمد فيهنَّ ·

فيما مضى كنتَ بالاعياد مسرورا · فجاءك العيد في اغمات مأسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة · يغزلنَ للناس ما يملكن قطميرا
يطأن في الطين والاقدام حافيةً · كأنها لم تطأْ مسكاً وكافورا
لاخدَّ الا تشكى الجدب ظاهره · وليس الا مع الانفاس ممطورا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلاً · فردَّك الدهر منهياً ومأمورا

من باتَ بعدكَ في ملك يسرُّ بهِ فانما بات بالاحلام مغرورا

وتألم المعتمد يوماً من قيده وثقله فانشد

تبدلت من ظل عز البنود بذلِ الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سناناً ذليقاً وعضباً رقيقاً صقيل الحديد
وقد صار ذاك وذا ادهماً يعضُّ بساقيَ عضَّ الاسود

ودخل عليه يوماً ولده ابو الهاشم فلما راى المعتمد والقيود تعض ساقيه « بعدما عهدنفسه فوق منبر وسرير . وفي وسط جنة وحرير . تخفق عليه الالوية . وتشرق منه الانديه » بكى وقال

قيدي اما تعلمني مسلماً ابيت ان تشفق او ترحما
دمي شرابٌ لك واللحم قد اكلته لا تهشم الاعظما
يبصرني فيك ابو هاشمٍ فينثني والقلب قد هشما
ارحم طفيلاً طائشاً لبه لم يخشَ ان يأتيك مسترحما
وارحم أُخيات له مثله جرعتهنَّ السمَّ والعلقما
منهنَّ من يفهم شيئاً فقد خفنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيئاً فما يفتح الاَّ لرضاعٍ فما

واجتمع عليه بعض الشعراء والحوا في السوءال فانشد

سألوا اليسير من الاسير وانه بسوءالهم لأَحق منهم فاعجبِ
لولا الحياء وعزة لخمية طيّ الحشا لحكاهمُ في المطلبِ

وللمعتمد اشعار كثيرة في نكبته ولابن اللبانة عدة قصائد فيه وفي البكاء على ايامه . منها ديوان له سماه « نظم السلوك في وعظ الملوك » وقد وفد على المعتمد في اغمات وفادة وفاء لا وفادة استجداء . وله فيه من قصيدة طويلة

فجعتَ منها باخوان ذوي ثقة فاتوا وللدهر في الاخوان آفات
واعنضتَ في آخر الصحراء طائفة لغاتهم في جميع الكتب ملغاةُ

يعني البربر اي ابن تاشفين وعسكره . وكانت وفاة المعتمد في سجنه في سنة ٤٨٨ هـ « فنودي في جنازته بالصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وجلالة شانه » وقد رثاه الشعراء عند قبره . منهم شاعره المختص به ابو بحر عبد الصمد فقد انشد على قبره قصيدة اولها

ملكَ الملوك اسامع فاناديـ ام قد عدتكَ عن السماع عوادي

لما نقلتَ عن القصور ولم تكن   فيها كما قد كنتَ في الاعياد
اقبلتُ في هذا الثرى لك خاضعاً   وجعلتُ قبرك موضع الانشاد

ولما فرغ من انشادها قبَّل الثرى وعفر خده فابكى كل من حضر

قال ابن خلكان : ورأى ابن اللبانة حفيداً للمعتمد اتخذ الصياغة صناعة وهو غلام وسيم وكان يُلقب في ايام دولتهم «فخر الدولة» فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ فقال من قصيدة طويلة

ياصائغاً كانت العليا تُصاغ له   حلياً وكان عليه الحلي منتظما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى   اني رأيتكَ فيه تنفخ الفحما
وددتُ اذ نظرت عيني عليك به   لو انَّ عيني تشكو قبل ذاك عمى

***

دولة الموحدين تلك قصة المعتمد بن عباد اشهر ملوك الاندلس في زمنه . ولا تشبهها في التاريخ العربي قصة غير قصة البرامكة ونكبتهم في المشرق . على ان العدالة الابدية التي تدبر شؤون هذه الحياة بنواميسها الازلية الثابتة قد سلطت على ذرية يوسف ابن تاشفين الذي فعل ببني عباد هذه الفعلة الشنعاء من فعل بها مثلها . فاقامت دولة «الموحدين» في المغرب على دولة «المرابطين» كما قامت دولة المرابطين على ملوك الاندلس ولبيان ذلك نقول باختصار

تقدم في الصفحة ٨ ان قبائل المصامدة في جبال اغمات كانت اشد القبائل بأساً وان يوسف ابن تاشفين بنى مراكش واتخذها مقاماً له لاخضاع تلك القبائل . ففي سنة ٥١٤ للهجرة اي بعد انقضاء ٢٦ عاماً على وفاة المعتمد بن عباد ظهر من المصامدة رجل يدعى عبدالله بن تومرت وتُعرف قبيلته بقبيلة هرغه وهي قبيلة نزلت في تلك البلاد لما فتحها المسلمون مع موسى بن نصير . وكان هذا الرجل عالماً بالشريعة فسافر الى بلاد الشرق وحجَّ ثم عاد الى المغرب عن طريق الاسكندرية . فعند عودته صار يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فاجتمع الناس عليه واجلُّوه ولقيه في ملالة رجل يُدعى عبد المؤمن بن علي فاتفق معه . ولما قدم الى مراكش عاصمة يوسف ابن تاشفين وجد فيها من المنكرات اكثر مما وجده في طريقه فزاد في امره بالمعروف . واتفق انه رأى في ذات يوم اخت الامير يوسف في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة وهن مسفرات **(لان العادة كانت في دولة الملثمين ان يستر نساؤهم ويتلثم رجالهم)** فهجم على الموكب مع اصحابه وامرهن بستر وجوههن وضرب دوابهن

فسقطت اخت الامير عن دابتها · فاحضره الامير يوسف بين يديه وامر الفقهاء ان يناظروه فقال له احدهم ان هذا الرجل لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانما يريد اثارة فتنة ليغلب على بعض النواحي · فاخرجوه من مراكش فذهب الى قبائل المصامده وصار يعظهم ويذكرهم بما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم وانه لا بدَّ من ظهور المهدي الذي بُشر به · فقال له بعض السامعين وفيهم عبد المؤمن انت المهدي · فبايعوه وسماهم المهدي « موحدين » فلما بلغ ذلك الى الامير يوسف ارسل عليهم جيشاً فهزموه وبذلك قويت قلوبهم · قال ابن الاثير: وكان ليوسف بن تاشفين عدة مماليك من الروم والفرنج يغلب على الوانهم الشقرة وكان في كل عام يخرجون مرة الى جبال المصامدة ليجبوا الضرائب منها فكانوا يطردون الرجال وينامون في المنازل · فلما جاء المهدي الجديد سأَل قومه مالي اراكم سمر الالوان وارى اولادكم شقراً زرقاً فاخبروه ذلك الخبر · فقبح الصبر على هذا وامرهم بقتل اولئك المماليك حين قدومهم والاستقلال بالجبل ففعلوا وازدادوا جراَءة على جراَءة

ثم استفحل امر هذه القبائل وحصروا مراكش وصاحبها علي بن يوسف بن تاشفين لان يوسف كان قد توفي فعادوا عنها بالخيبة · وفي اثناء ذلك توفي المهدي وسلم الامر الى عبد المؤمن واوصى اصحابه بطاعته · ففتح عبد المؤمن البلاد واخذ مراكش كرسي دولة المرابطين · وكان فيها جيش من الافرنج استنجد به المرابطون كما روى ابن الاثير · وكان صاحب مراكش اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو فتى فلما وصل الموحدون الى القصر واخرجوا من فيه للقتل صار اسحق الفتى يرتعد رغبةً في البقاء ويدعو لعبد المؤمن ويبكي · فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفاً فبصق في وجهه وقال: تبكي على ابيك وامك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين · فقام اليه الموحدون بالخشب فقتلوه · وقُدم اسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة ٥٤٢ وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم · وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولي منهم اربعة: يوسف وعلي وتاشفين واسحق · وكما اسقط الموحدون المرابطين في افريقيا اسقطوهم في الاندلس وبذلك انتقموا لملوكها الغابرين

⁂

فيرى القارئ فيما مرَّ في هذه الترجمة تاريخ ثلاث دول مهمة · (الاولى) دولة بني عباد التي قامت في اشبيلية وقرطبة وما جاورهما · (والثانية) دولة ابن تاشفين (المرابطين)

التي قامت في مراكش واستولت على افريقيا والاندلس . (والثالثة) دولة الموحدين التي اسقطتها وحلت محلها . وكل هذه قوات قامت ثم سقطت وذهبت سدى دوان يُنتفع بها بينما كانت امم الافرنج في اثناء ذلك تتكون وتتجمع تحت سلطة امرائهم ورؤسائهم لينشئوا بعد ذلك امماً مستقلة مختلفة . ولم تكن تدري تلك الدول التي كانت تتزاحم وتتخاذل على ابواب اوربا ان مستقبل الشرق والغرب والعالم كله كان يومئذ في ايديها

الفيلسوف اوغست كونت

(مؤسس الفلسفة الحسية وواضع ديانة الانسانية والعلم)

ترجمته وذكر مبادئه بمناسبة وفاة تلميذه وخلفه في رئاسة ديانة الانسانية في الشهر الماضي في باريز

اذا ذُكر نوابغ القرن التاسع عشر فان الفيلسوف اوغست كونت يُذكر في مقدمتهم . وقد رأينا ان ننشر في هذا الجزء ترجمته وشيئاً من فلسفته بمناسبة وفاة تلميذه وخلفه بطرس لافيت « رئيس ديانة الانسانية » فنقول

﴿ ترجمته ﴾ ولد اوغست كونت في مونبيله (فرنسا) في سنة ١٧٩٨ وقد تلقى دروسه في مدرسة الرياضيات ولكنه لم يتمها فخرج وانصب على الدرس لنفسه . وكان في اثناء ذلك يرتزق من التدريس لانه كان فقيراً . ومن حسن حظه انه عرف في سنة ١٨١٩ سان سيمون الكاتب الفرنسوي المشهور فاتفقا على الاشتغال بالعلم والسياسة معاً . وكان سان سيمون محتاجاً اليه وهو محتاج الى سان سيمون لان سيمون كان ذا بصيرة في السياسة ولكنه كان قاصراً في العلم وكان اوغست كونت طويل الباع في العلم ولكنه قاصر في الامور السياسية . فكمل احدهما نقص الآخر

الاَّ ان كونت كان مطبوعاً على حب الاستقلال فلم يجد بداً من مفارقة سان سيمون الذي كان ينزل نفسه منه منزلة المتسلط الآمر . فاغتنم فرصة لذلك . وهي ان كونت كتب الجزء الثالث من كتاب « مبادىء اهل الصناعة » واتفق مع سيمون على ان ينشره باسم مؤلفه . فذهب سيمون ونشره دون ان يذكر مؤلفه فكان ذلك عذر كونت في مفارقته

وبعد ذلك انصرف كونت الى التأليف والتدريس في منزله فكان نخبة الناس يقبلون على استماع خطبه العلمية . غير انه أُصيب بعد ثلاث خطب بتهيج في الدماغ خيف عليه

الجنون منه فنقل الى احد المستشفيات واقام فيه ٧ اشهر بلا فائدة · وكانت له زوجة كريمة عاقلة فاعادته الى منزله ولبثت تداريه وتسكن اضطرابه باللطف والمجاملة حتى هدأ اضطرابه وعادت اليه قواه العقلية · وهنا لا بدَّ ان يذكر القارئ رأي العلامة لمبروزو الايطالي الذي مقتضاه ان سبب نبوغ اعاظم البشر خلل يطرأ على ادمغتهم وعقولهم فيرفعها عن عقول البشر الاعتيادية · وبذلك يكون نوابغ البشر الذين رقوا الهيئة الاجتماعية انصاف مجانين · والعياذ بالله من هذا الرأي الغريب ·

وبعد شفاء كونت بدأت مؤلفاته العظيمة التي كانت اساسًا للعلم الحسي والسسيولوجيا · فصارت له شهرة واسعة · الاَّ ان اخلاقه الغريبة كانت تبعد عنه كل انصاره · فانه كان يسيء في معاملة الجميع لرؤيته انهم لا يعطونه حقه ولا يقدرونه قدره · فمن ذلك انه كان يطلب التدريس في احدى المدارس الكبرى فلما خلت وظيفة كبيرة في مدرسة الرياضيات كتب الى اصدقائه في الاكاذمية كتابًا يطالبهم فيه بتلك الوظيفة كحق له ويعنفهم لاعراضهم عنه ويطعن على مشاهير الرياضيين في عصره · فانتهى الامر برفض طلبه · ومن ذلك طعنه في احد كتبه على اراغو المشهور طعنًا جرح كبرياء اراغو الذي كان يومئذٍ في اوج الشهرة فسعى في عزله من وظيفة كانت له في مدرسة الرياضيات · وكان كلما تقدَّم في نشر مذهبه الفلسفي وازداد تحققًا فيه واستيثاقًا من عظم عمله ازدادت اخلاقه شراسة وكبرياءً حتى لم يعد يقبل نصيحة ولا اشارة من احد · ولما رأت زوجته ذلك علمت استحالة الاتفاق معه فانفصلت عنه بهدوء ولكنها بعد الانفصال بقيت تراسله ·

ولما كانت سنة ١٨٤٥ بدأ كونت يطبق فلسفته على السياسة · اي بدأ يُدخل في حيز الفعل والتجربة النظريات التي ذكرها في فلسفته · فادَّى به هذا الامر الى امور غريبة سنذكرها في موضعها · ولذلك يقولون ان هذا العام كان بدء نزوله عن جبل العظمة العلمية

ولما فقد كونت وظيفته الرسمية في مدارس الرياضيات فقدَ معها مورد رزقه ولكن بعض علماء انكلترا واغنيائها ارسلوا اليه مالاً طائلاً مساعدة له لان الانكليز اعجبوا بمواهبه · فطلب كونت ان تكون هذه المساعدة سنوية فرفضوا فخاصمهم كونت لرفضهم · فشرع حينئذٍ تلميذه العلامة ليتره المشهور في جمع مال طائل لاستاذه على سبيل الاكتتاب ليجعل له منه دخلاً سنويًا فاستمر ذلك اربع سنوات ولكن كونت رأى ان تلميذه ليتره لم يكن مطيعًا له الى الحدّ الذي يريده فخاصمه ايضًا وتولى هو نفسه رئاسة الاكتتاب ··

وقد كانت وفاة كونت بسرطان في معدته فجزع عليه تلامذته · ولا يزال بيته في

باريز (هيكلاً) يحج اليه تلامذته من جميع اقطار العالم

﴿ موءلفاته وطريقة تاليفه ﴾ كان لكونت في التأليف طريقة لم تكن لسواه بين جميع المؤلفين . فانه منذ شرع في كتابة مذهبه الفلسفي انقطع عن كل درس ولم يعد يقراء كتاباً لاحد من المؤلفين . وسبب ذلك انه قصد ان لا يكون لاحد تأثير على افكاره . ولقد كان ذلك حسناً قبل افراغه جعبته في موءلفاته . ولكنه بعد افراغه جعبته جرّه الى الامور الصبيانية التي سنذكرها في ترجمته لانه فصله عن عالم العلم وجعله يتهوَّر في التعاليم الرمزية التي مزج فيها الدين بالفلسفة . ومهما يكن في هذا الامر فانه كان دليلاً غريباً على عظيم ثقته بنفسه

اما كيفية كتابته موءلفاته فانها كانت كما يلي" كان يفكر اولاً في الموضوع وينشيء في ذهنه جميع اجزائه وتفاصيله . ومتى فرغ منها كلها كان يقول ان كتابه قد تمّ . وحينئذ يتناول القلم ويبدأ بالكتابة بسرعة غريبة ثم يرسل الاوراق التي يكتبها الى المطبعة دون مراجعتها . وبعد ترتيب حروفها لا يصحح اغلاطها المطبعية الا مرة واحدة . وعند تصحيحها لا يغير شيئاً في كلامه

واما موءلفاته فاهمها كلها « دروس في الفلسفة الحسية » وهو ستة اجزاء فيها كل فلسفته « واقوال فلسفية في العلم والعلماء » (واقوال في السلطة الروحية الجديدة) (وكتاب في مبادىء الهندسة) (وكتاب فلسفي في علم الهيئة العامي) (وكلام عن مجمل الفلسفة الحسية) وهو كتاب اختصر فيه فلسفته (ومذهب الفلسفة الحسية السياسي) وهو اربعة اجزاء وقد دعاها ايضاً : كتاباً في السسيولوجيا يبحث في ديانة الانسانية (وكتاب مبادىء التعليم في الفلسفة الحسية) وهو في (ديانة الانسانية) يقابل (كتاب مبادىء التعليم المسيحي) للاولاد في الديانة المسيحية او اصول الشرع والقرآن الاولى في الديانة الاسلامية . ومنها كتب اخرى

﴿ مذهبه الفلسفي ﴾ وقبل ان نذكر شيئاً عن مذهب اوغست كونت الفلسفي نقسم اعمال هذا الفيلسوف الى قسمين : فقسم كان عظيماً جليلاً لما كان له من التأثير على الحركة العلمية والسياسية في اوربا منذ ذلك الزمن الى اليوم . وقسم كان صغيراً – ومع احترامنا لتذكار الفيلسوف فاننا نقول انه كان مضحكاً . وقبل الوصول الى القسم الثاني نشرح القسم الاول

لما قام كونت ورأى الفلسفة مبنية على النظريات والمجادلات العقيمة عدل عن هذه

الطريق وقام يدعو الى تاسيس الفلسفة على الامور المحسوسة · فقال اننا لا نبني فلسفتنا الا على ما نعرفه معرفة تامة · ولذلك لا نعرف للفلسفة اساساً غير **(الرياضيات وعلم الفلك والطبيعيات والكيمياء والبيولوجيا والسسيولوجيا)**

وكان مراده بذلك صرف افكار الفلاسفة عن البحث في (علة العلل وسبب الاسباب) لادخال العلم في دور (**النفع**) للبشر · وان قيل ان ذلك يضع حداً للعلم ويجعله مقيداً افكونت يجيب عن ذلك بان فلسفته لا غرض لها غير (**نفع الناس**) بترقية الانسانية اما معرفة مبداء العالم ومصيره فمن العبث الاشتغال به بقوانا العقلية · فبدلاً من ان تضيع الفلسفة وقتها الثمين في البحث في هذه المسائل يجب ان تحصر قواها في درس الامور المحسوسة واستخدام العناصر الطبيعية لنفع الانسانية اذ لا شيء حقيقي غير الانسانية

وهو يرى ان الانسانية قد آن لها ان تصل الى هذا الغرض وان فلسفته هذه دور من ادوارها · وايضاحاً لذلك يقول ان كل هيئة اجتماعية لها ثلاثة ادوار الاول دور الطفولية وهو الدور الذي تظن فيه نفسها محكومة بقوات غير منظورة كالآلهة والارواح والثاني دور الشباب وهو الدور الذي تكون فيه منصرفة الى ما وراء الطبيعة والعقل والحس والثالث الدور الحسي وهو دور الرجولية · بل ان الانسان نفسه يتقلب في عمره بين ادوار كهذه الادوار فانه في صباه يكون في الدور الاول وفي شبابه في الدور الثاني وفي كهولته في الثالث ·

واعظم اكتشافات كونت في هذه الفلسفة اثباته الترتيب والعلاقة بين العلوم الطبيعية · قال المسيو رويسين الذي نعتمد عليه في تلخيص هذا المذهب : ان الرياضيات قد وُضعت اصولها منذ نشأتها في القرون الماضية وقد خطط كبلر وغاليله طريق علم الهيئة (الفلك) وخطط باكون وديكارت طريق الطبيعيات ولافوازيه طريق الكيمياء وبوفون وكوفيه ولينه وجفروى سان هيلير طريق البيولوجيا · واما أُغوست كونت فانه وضع اساس السسيولوجيا (علم العمران) ورفعه الى مقام العلوم الطبيعية الثابتة · وذلك باكتشافه ما بين العلوم الطبيعية من الترتيب اي لزوم بعضها عن بعض لانها تنشا عنها واثباته انها كلها تنتهي الى غرض واحد وهو خدمة علم السسيولوجيا لترقية العمران في الارض وتحسين حالة الانسانية

وبناءً على ذلك يكون اساس فلسفة كونت علم السسيولوجيا اي علم اصلاح شأن البشر · وهو الذي وضع هذه الكلمة (السسيولوجيا) واودع فيها المعنى المصطلح عليه اليوم ·

وتوصلاً الى ذلك الغرض جعل همه ايجاد (سلطة روحية) جديدة ليقرنها بالسلطة السياسية ويعهد اليها تدبير شؤون البشر . وهو يرى ان الكنيسة المسيحية قد صنعت صنعاً بديعاً بجمعها بين السلطة السياسية والسلطة الروحية في شخص واحد يتولى ادارة الامة . ولكنها بما انها فصلت بين العقل و بين الطبيعة في تلك السلطة فقد ادخلت بذلك في جوفها جراثيم الضعف والانحلال . وهذا الانحلال والانقسام لم يلبث ان ظهر بقيام المذاهب الفلسفية والمذهب البروتستنتي . فالمطلوب لتدبير شؤون البشر تدبيراً محكماً اقامة سلطة روحية توافق السلطات السياسية والامور الطبيعية . وليس هنالك سلطة روحية قوية غير سلطة العلماء . اذاً يجب ان تتألف لجنة من العلماء في كل الامم ليتولوا حكومة البشر بالروح و بالسياسة حكومة مبنية على الواجب . ويكون شعارهم هذه الكلمات « **محبة الناس لانها واجبة . وحفظ النظام والامن لانهما اساس الاجتماع . وتمهيد سبيل المدنية لانها غرض الانسانية** »

مذهبه الديني واليك القسم الثاني من مذهب كونت الذي اشرنا اليه في ما تقدم سمى كونت الانسانية (الذات الاعظم) واوجب في اكرامها ترقية شؤونها لا عبادتها. وسمى دينه الجديد (ديانة الانسانية) وهو يوجب الصلاة لا لانها واسطة لطلب شيء للانسان بل لانها عبارة عن اشتراك وتامل في مصدر الكمال . ومن قوله : انما الصلاة حب وفكر اذا كانت بالروح والفكر فقط . ولكنها اذا كانت بالكلام ايضاً فهي حب وفكر وفعل . فكأنما الصلاة عبارة عن نموذج للحياة . وكأنما الحياة صلاة دائمة

ومعبد الانسانية يجب ان يُقام في وسط حرش مقدس يجتمع فيه المؤمنون . وتكون فيه العبادة عمومية . ويوضع في صدره تمثال للانسانية يمثل امرأة تحمل طفلاً . وتخصص غرفة في المعبد بالنساء اللواتي امتزنَ في حياتهنَّ باعمال جليلة و١٣ غرفة تحوى تماثيل ١٣ رجلاً وهم « **موسى وهوميروس وارسطو وارخميدس وقيصر والقديس بولس وشارلمان ودانت وغوتنبرج وشكسبير وديكارت وفردريك الثاني و بيشات** » . وقد غير كونت حساب الاشهر فجعل السنة ١٣ شهراً وسمى كل شهر باسم واحد من هؤلاء المشاهير وجعل في كل يوم من ايام السنة عيد رجل من الذين افادوا البشر . اما تعاليم هذا الدين الجديد الغريب فهي ترجع الى مبداء واحد وهو (ان يحب الانسان الناس و يعيش من اجلهم) لانه جزء وهم كل و بذلك وضع كونت اصول الآداب والفضائل فوق اصول العمران (السسيولوجيا)

ومن مبادىء هذا المذهب تقديس النساء لان المرأة في رأي كونت اطهر مخلوقات

الانسانية . وهي الرباط الحي الذي يربط الانسان بالهيئة الاجتماعية سواءٌ كانت زوجة او امًّا او ابنة . وقد وضع هذا الفيلسوف الغريب الاخلاق عبادة مختصة بالنساء . ووضع مذهبه تحت حماية (القديسة كلوتيلد) وكلوتيلد هذه اسم امرأَة عرفها كونت في سنة ١٨٤٥ واحبها حبًّا شديدًا مع انه كان في السابعة والاربعين من عمره . . وهي تدعى كلوتيلد ديفو

فمن كل ذلك يظهر ان هذا الفيلسوف مزج فلسفته بكثير من الامور الصبيانية . على ان الفلاسفة ينظرون الى مذهبه الفلسفي لا الى مذهبه الديني . ويقولون عنه انه كان فيه شخصان : شخص عظيم وضع في الرياضيات والطبيعيات والسسيولوجيا كتبًا في غاية الاهمية حوّلت مجرى افكار البشر في الارض . وشخص وضع ذلك المذهب الديني بعد فراغ جعبته العلمية فصغَّر به نفسه

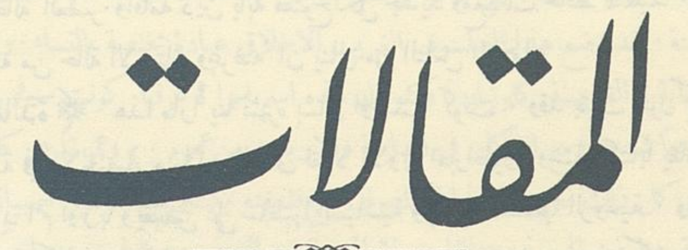
﴿ خلفه الذي توفي اخيرًا ﴾ وقد اشتغلت جرائد اوربا منذ مدة بذكر كونت وفلسفته مرتين . الاولى حين اقامة تمثال له منذ بضعة اشهر . وقد خطب الجنرال اندري وزير الحرب في فرنسا في تلك الحفلة لانه من انصار الفلسفة الحسية . والمرة الثانية حين وفاة بطرس لافيت تلميذ كونت و(رئيس ديانة الانسانية) بعده . وقد احتفل بجنازته في ٢ موسى وهو يوم قورش (اي في اليوم الثاني من الشهر المسمى موسى والمخصص بقورش ملك فارس القديم) فجيء بالجثة الى (الهيكل) وهو البيت الذي توفي كونت فيه . وكان هذا البيت مزينًا بالرايات المختلفة دلالة على اشتراك الانسانية كلها في تشييع واحد منها . وكان العلمَ العثماني في جملتها . وبعد عرضها حُملت الى المدفن حيث ابَّنه بعض اكابر العلماء في جملتهم المسيو اناتول فرانس احد اعضاء الاكاذمية وخطيب اسود وهو وكيل هايتي السياسي في باريز كان ينوب عن الجنس الاسود في هذه الجنازة

وقد ابنَّت الجرائد المسيو لافيت خلف استاذه كونت فقالت انه تصرف بمبادىء استاذه تصرفًا نبذ منها الامور الصغيرة وادخل فيها البشاشة واللطف فزاد في قوتها وانتشارها . وكتب المسيو غاستون ديشان المنتقد المشهور مقالة طويلة في جريدة الطان قال فيها ان جميع المؤلفين الذين قاموا بعد كونت قد استمدوا من مؤلفاته وآرائه في اوربا كلها حتى رنان وتين . ولذلك تجد الكتب والروايات مملوءة من روحه . وهذه المقالة طويلة لا محل لتلخيصها وانما نذكر منها غرض كونت كما صوَّره هذا الكاتب . قال : كان غرضه مداواة داء العصر بوضع النظام العقلي والادبي مكان الفوضى الاشتراكية . وانشاء سلطة روحية جديدة توفق بين عناصر الامة وتوحد التعليم في مدارسها لتوحيد كلمتها . ومصالحة العقل والقلب . والعلم والحب .

التي فرقتها حالة العصر . واقامة دين بابه مفتوح لكل جديد ومع ذلك حافظ للتقليد . ويكون مستمدًا تعليمه من حالة الاجتماع وغرضهُ ان ينال من الناس الاجماع

﴿ الفائدة ﴾ هذا ما رأينا نشره بشان اوغست كونت . وقد بقيت امور كثيرة لم نذكرها رغبة في الاختصار منها ارساله الى نقولا الاول امبراطور روسيا كتابًا يقترح عليه فيه ان يوحّد امم اوربا ويقبض على سلطتها السياسية ويعطيه سلطتها الروحية . وغني عن البيان ان هذا الكتاب بقي بلا جواب . ومنها تفصيل تاريخ انتشار مذهب كونت الديني والفلسفي في فرنسا وانكلترا واسوج والبرازيل حيث ادخله بنجامين كونستان وذكر جمعياته ومجلاته التي تطبع في باريز وعنوانها « المجلة الغربية » ولكننا نلتزم الاختصار لضيق المقام ونختم هذا البحث بذكر الفائدة التي تنجم عنه وتؤْخذ منه بقطع النظر عن الامور الصغيرة التي فيه كترك الفكرة الالهية التي تحيي نفوس البشر وتقليد العبادات المادية

وهذه الفائدة هي تقديس الانسانية واحترام شخص الانسان احترامًا مطلقًا . ويدخل في ذلك مبدأ هو اسمى المبادىء التي وضعها البشر نعني مبدأ « كراهة سفك الدم البشري » الذي يُقال فيه انه المبدأ العظيم الوحيد الذي تمتاز به المدنية الحديثة على جميع المدنيات القديمة . فقد كان دم الانسان في الزمن القديم رخيص الثمن وكان البشر عبارة عن انعام يُذبحون او يُحرقون بامر رؤَسائهم لاصغر الاسباب سواءٌ كانت دينية او سياسية . اما اليوم فقد صار الشخص مقدسًا لانه جزءٌ من الانسانية ولذلك صار همّ البشر منصرفًا الى الاتفاق على تدبير الطرق السلمية ليحملوا بعضهم بعضًا ويعيشوا بعضهم مع بعض بالفة ووئام بعد ان علموا انه من الجناية على الانسانية ومن المستحيل في شرعها استئثار بعضها بالحياة والارض دون بعض . ومن هنا نشأَ ارتقاءٌ حقيقي في حالة الانسانية . وهم يُرجعون الفضل في هذا الارتقاء الى الفلسفة الكونتية



تاريخ الرسل

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

الاشتراكية المسيحية والاشتراكية العصرية

اثبت البحث في نشأة الاديان انها كلها قد نشأت للقيام بحاجات اجتماعية . فان الديانة البوذية مثلاً لم تقم بما فيها من الفلسفة العدمية ولكنها قامت باعلان بوذه الغاء الامتيازات والطبقات وبوضعه شريعة ينال بها النعمة كل داخل فيها . وكما كانت الديانة البوذية عبارة عن حركة قام بها الفقراء فان الديانة المسيحية كانت كذلك ايضاً . فان الجاذب الذي جذب الناس افواجاً اليها هو ما كانت تجده فيها طبقات المساكين من الحماية والرأفة ورفعة الشان

وكان عدد الفقراء في اليهود كثيراً يومئذ . فان البلاد نفسها قليلة الموارد عديمة الصنائع ولا مورد فيها الا من جهة المعابد وجهات الحكام . اما خيرات الهيكل في اورشليم فانها كانت خاصة بقليلين من الرؤساء . وكان حول بني هيرودس بعض الأسر الغنية التي وضع هؤلاء الحكام الغنى فيها ولكن الشعب من اليهود الحقيقيين كان لا ينظر اليها بعين الاحترام بل كان يدير ظهره لها وللتمدن الروماني الذي كانت مقبلة عليه . وبذلك كان هذا الشعب يزداد فقراً على فقر . فتألف منه فريق يحفظ قواعد دينه كل الحفظ وينبذ كل جديد وهو في غاية الفقر ويعتبر اولئك الاغنياء اعداء له ويطلب اذلالهم . وكان اقصى اماني هذا الفريق مجيء اليوم الذي يكون فيه الحكم اليهم ليقيموا الشريعة الحقة . ولم يكن شيء يعادل بغضهم للمباني الفخيمة التي كانت تُنشأ في جميع اقطار البلاد من سراة اليهود ومن الرومانيين . وكانوا مضطرين الى العمل في هذه الابنية طلباً للرزق والا ماتوا جوعاً ولكنهم مع ذلك كانوا لا ينفكون عن التضجر ونسبة الكفر والفساد والشر الى اولئك الاغنياء الذين كانوا يقبلون على التمدن الغريب

فبناءً على ذلك كانت الطائفة المسيحية الاولى بمنزلة الفردوس لهؤلاء الفقراء . فانها كانت عبارة عن اخوية ساذجة الاخلاق لطيفتها فيها المعيشة هادئة مضمونة وآمال في المستقبل عظيمة . ولذلك اقبل الناس عليها . وكان الداخل فيها يبيع املاكه اذا كان ذا ملك ويدفع ثمنها الى صندوق الطائفة . وكانت هذه الاملاك على الغالب عبارة عن حقول قليلة الدخل صعبة الاستثمار ولذلك كان صاحبها لا يخسر كثيراً في بيعها ودفع ثمنها للطائفة ليعيش بين ابنائها وهي تقوم بحاجاته . وبما ان الطائفة كانت تقوم بحاجات كل واحد منها بقدر حاجته لا على نسبة المال الذي يضعه في صندوقها فقدكان كل مال يخفيه عنها الداخل فيها مالاً مسروقاً منها . وهنا شبه عظيم بين هذه الحالة وحالة بعض المبادىء الاشتراكية التي قامت في هذا العصر . ولكن الاشتراكية المسيحية كانت مؤسسة على عاطفة دينية . واما الاشتراكية العصرية فهي منفصلة عن هذه العاطفة . وظاهرٌ كالشمس للعيان ان الهيئة التي يقدم لها افرادها راسمالاً ولا ينتظرون منها ربحاً الاَّ بمقدار الراسمال الذي وضعوه فيها او العمل الذي يعملونه في معاملها لا يمكن ان تُبنى الاَّ على عاطفة دينية توجب على الانسان انكار ذاته الى ذلك الحد قياماً بواجباته الدينية

اقامة درجة الشماسية

ولا بدَّ في ادارة كادارة الطائفة المسيحية الاولى ان تحدث شكاوى من عدة وجوه . فان اليهود العبرانيين كانوا ينظرون الى اخوانهم اليهود اليونانيين بشيءٍ من الاحتقار لان اولئك كانوا اعرق في اليهودية منهم . ولذلك لم يلبث ان علتْ شكوى اليهود اليونانيين من ان اراملهم كنَّ لا يأخذن من الحاجات اليومية حين توزيعها بمقدار ارامل اليهود العبرانيين . وكان امر التوزيع يومئذ في ايدي الرسل . فلما سمعوا هذه الشكوى رأوا وجوب التنازل عن هذه الوظيفة الى غيرهم . فاقترحوا على الطائفة ان يختاروا لتلك الشؤون الادارية سبعة من عقلائهم . فرضيت الطائفة بذلك . واختاروا لهذا الامر اسطفانوس وفيليبوس وبروخوروس ونيكانور وتيمون وبرمنئاس ونقولا . وقد اوجبوا اختيارهم من الداخين على الطائفة لا من الرسل والتلامذة الاولين . واختاروهم من اليونانيين على الاكثر فان جميع اسمائهم يونانية كما ترى . وكان اسطفانوس اهمهم وارفعهم شأناً . وبعد اختيارهم قدموهم للرسل فصلوا على رؤوسهم ووضعوا عليهم الايدي . وقد سموهم باسم سرياني وهو (شماس) واحيانًا كانوا يسمونهم (السبعة) تمييزاً لهم عن (الاثنى عشر) وهم

الرسل انفسهم · وهذا هو اصل درجة الشماسية التي هي اقدم درجات الكهنوت في الديانة المسيحية

اما فائدة هذا الترتيب الجديد فقد كانت عظيمة · فان ذلك كان بمثابة رفع العناية بالفقر والفقراء الى درجة دينية · بل هو بمثابة اعلان لهذه الحقيقة الثابتة وهي ان المسائل الاجتماعية مقدمة على كل المسائل والعناية بها يجب ان تكون فوق كل عناية · ولقد كان الشمامسة في الديانة المسيحية افضل وعاظها · اما تاثيرهم في تاسيس الطائفة فقد كان اعظم واشد ايضاً · فان هؤلاء الرجال المنصرفين الى تدبير الشؤون اليومية والذين كانوا قريبين من الفقراء والمرضى والنساء يرون كل شيء ويعملون كل شيء قد تعلموا بالاختبار طرق الدعوة والوعظ الاكثر تاثيراً في النفوس بينما كان الرسل جلوساً على كراسيهم في اورشليم في سكينة تامة · ولذلك يرجع اليهم الفضل في تاسيس الطائفة المسيحية

المراة في المدنية القديمة وفي المسيحية

ولم تكن هذه الوظيفة والخدمة مختصة بالرجال فان النساء لم يلبثن ان دخلن فيها · وكانوا يسمون المرأة التي تشترك في هذه الخدمة (اختاً) كما يسمون الراهبات اليوم · وكانوا اولاً يستخدمون الارامل لها ثم عدلوا عن الارامل الى العذارى · فكان الرجال يخدمون في ماهو داخل في دائرة عملهم والنساء يخدمن في ما يدخل في دائرة عملهن · وبذلك وضع اولئك السذج الصالحون اساس العمل العظيم الذي هو خاص بالمسيحية وهو مباني (الاحسان) · وقد وضعوا ذلك ابتداعاً لا تقليداً لانهم لم يقفوا على مثال له قبل ذلك · ومن المحتمل انهم وضعوا هذا الاساس بارشاد السيد في حياته لانّ تعاليمه كانت لا تزال تملأ نفوسهم وتدبر شؤونهم

ولقد كان من نتيجة ذلك ان النساء اقبلن من كل صوب على هذه الطائفة التي كنّ يجدنَ فيها ملجاءً يعشن فيه بسلام واكرام · ذلك ان مقامهنّ في الهيئة الاجتماعية يومئذٍ كان ضعيفاً متقلقلاً · فان الارامل على الخصوص كنّ مهجورات للفقر والشقاء · وكثيرون من علماء الدين عند اليهود كان مذهبهم ان لا تُعلم المرأة شيئاً من المبادىء الدينية · ومما يدل على ذلك ان التلمود يعتبر من آفات العالم الارملة الثرثارة التي تصرف اوقاتها عند الجيران والعذراء التي تضيع وقتها في الصلاة · ولقد كان عصر السلوسيين في فلسطين عصر اضطراب في المنازل فانه لم يحدث في عصر آخر ماحدث فيه من التسميم والفسق والفتن بين النساء وازواجهنّ

فصار حكماء ذلك الزمان يعتبرون المرأة عبارة عن شيطان رجيم خُلق لافساد نفوس البشر وتعطيل ما فيهامن الصلاح · فالديانة المسيحية الجديدة غيرّت كل هذا بان اوجدت للمرأة يومئذ ملجأً شريفاً اميناً · فكأنها رفعت جنس النساء من الدرجة التي كانت فيها الى درجة الرجال وخلقت لهنّ حياة جديدة ينفقن فيها ما في نفوسهنّ من قوى الاخلاص والاحسان · وصار يكفي ان تضع المرأة على راسها غطاء اسود وتدخل الى الطائفة الجديدة تخدم فيها لتعامَل فيها معاملة اكرم رجالها واجلّهم · وبذلك صارت النساء مساويات للرجال · والارامل للعذارى · وكانت الارملة التي تخدم هذه الخدمة تُسمى (العجوز الجميلة) وكانوا يحترمونها احترام الام · وكان هؤلاء النساء من اقوى العوامل في نشر المذهب الجديد · ولقد اخطأ البروتستنت بانتقادهم هذا الاجتماع انتقاداً مبنياً على روح الاستفراد العصري كاعتراضهم على معيشة الرهبانيات معيشة مشتركة فان هذا الاشتراك في المعيشة كائن في طبيعة الديانة المسيحية وهو في صدر تاريخ نشأتها

ولم يكن يومئذ قد انشئت وظيفة الاسقفية والكهنوت ولكن كان بدلاً منهـا وظيفة العناية بالناس عناية روحية عمومية واتحاد النفوس بالروح اتحاداً مطلقاً · ففي هذه الحالة كان للمرأة مسعف ومرشد يسعفها ويرشدها · وتاريخ حرية المرأة يبدأ من تاريخ اقامة هذا المرشد لها · ذلك ان المدنيات القديمة كانت تدفع المرأة الى الرجل بلا شرط ولا ضمانة فكان ذلك للمرأة بمثابة عبودية حقيقية · ولم يكن للمرأة قبل الديانة المسيحية ضمير خاص بها وفكر ادبي مستقل يختط لها طريقها بل كانت آلة والعوبة في يد الرجل · واما الديانة المسيحيـة فانها جعلت لها الاسقف او الكاهن مرشداً يدبرها · وهذا المرشد الذي يصرف همه الى تدبير شأنها وارشادها محبوب اليها لان المراة في حاجة الى الارشاد ولا تكون سعيدة الا اذا كانت محكومة · وبما ان حياة النفس هي الحياة الحقيقية فمن المعقول ان يكون ذلك الذي هو قادر على اثارة عواطف النفس وتحريك اوتارها الالهية فوق كل شخص سواه

رابعاً في الزواج والدبر

فمن هذه الجهة كانت المسيحية عبارة عن ردّ فعل لحالة الزواج القديم في النسل الآري وما كان فيهامن الضيق · ولقد احدثت الديانة الجديدة توسعاً في ذلك حالةً جديدة وهي ترك الزواج · فانهـا رأت ان العائلة ليست سنّة مطلقة في الحياة وان واجب النسل وان

كان مقدساً فانه لا يجب على كل انسان . ولذلك استثنت منها الكهنة والراهبات رغبة في الخير العام لانقطاعهم الى الخدمة العمومية . ولا عجب في ذلك فان بعض النفوس يلذ لها الاجتماع مع خمسمائة اكثر من الاجتماع مع خمسة او ستة ولذلك ترى العائلة ناقصة مفجرة باردة . فلماذا يجب ان نجعل نظام اجتماعنا الضيق شاملاً للجميع . ان العائلة الحالية لا ترضي الانسان وحدها . بل هو يطلب دائماً اخوة واخوات من غير طريق اللحم والدم

وبناءً على ذلك جمعت الطائفة الاولى في تاريخها الاول ضدين غريبين . فمن جهة اطلاق الحرية ومن جهة تقييدها . وقد كانت الانسانية راضية مرتاحة في هاتين الحالتين . ولكن لما انتشرت المسيحية في اقطار الارض ودخلت فيها امم باسرها صار العمل بنظامها الاول امرًا مستحيلاً الاَّ في الاديرة . فالاديرة اذاً ليست الاَّ تتمة للمعيشة المسيحية الاولى . والدير نتيجة ضرورية تلزم عن الديانة المسيحية . لانه لا مسيحية حقيقية الاَّ في الدير حيث لا يمكن العمل بالكمال الانجيلي في مكان سواه

تاريخ العلم في لبنان

لحضرة الكاتب الفاضل الشيخ شاهين الخازن اللبناني

المقالة الثانية

عرف قارىء المقالة السابقة في مدارس لبنان انه ليس بينها مدرسة للفنون والصنائع . وقد شاعت هناك مع ذلك فنون وصنائع ولّدها الاضطرار كما سيأتي في مطاوي هذا البحث

المحاماة والطبابة

انتشر فنُّ المحاماة في لبنان بعد ان أُدخل فيه نظام العدلية غير ان العدلية سارت سيراً مختلاً اذ لا يمكن التوفيق من كل الوجوه بينها وبين نظامه المخصوص نظرًا الى امتيازاته الاساسية التي لا يُنقض شيءٌ منها الا بمؤتمر دولي . فكان فن المحاماة غير قانوني من وجهين احدها انه ليس هناك من مدارس شرعية ولا نظامية . ومع ذلك نبغ افرادٌ في لبنان بعلمي الشرع والنظام نبوغاً اطار شهرتهم في بلاد الدولة العلية بما ألّفوا وشرحوا وعربوا ولبعضهم تلامذة بارعون يركن اليهم في مشكلات الابحاث النظامية . ولكن الافراد المشار اليهم وصلوا

الى هذا الحد من علوم الشرائع اما لاخذهم بعض اصولها عن فقهاء غير لبنانيين ثم جدّوا في البحث والتحصيل والتمرن واما لانهم حصلوه بالاجتهاد من اوله الى هذه الغاية . وقد احدث دولتلو نعوم باشا متصرف لبنان السابق شهادة يُعطاها بعد الامتحان من يريد احتراف المحاماة ولكنها لسوء الحظ اعطيت لاشخاص من بين نائليها علموا من الفقه والنظام ما يعلمه طالب السنة الاولى من لغةٍ اجنبية . ولست بمنكر على كثير من رؤساء المحاكم والمحامين تمكنهم من العربية نحوًا وبيانًا وبديعًا وقريضًا الى غير ذلك فمنهم الادباء والشعراء والكتبة المجيدون وقد طابوا الفقه من طريق اللغة غير انهم لم يتجرّدوا له المدّات الكافية للتوسع فيه . وكان الخالد الذكر داود باشا قد ابتاع دار الامير قاسم ابن الامير بشير الكبير من ماله ليجعلها مدرسة كلية لبنانية يتلقى فيها اللبنانيون علوم الشرائع والصنائع وغيرها ولكن استقالته حالت دون اتمام ذلك الغرض النبيل

وليس في لبنان من حرفة قانونية غير الطبابة على ان اصحابها يتعلمونها في بيروت في الكلية الفرنسوية او الاميركانية وكانوا فيما مضى يطلبون الطب في القطر المصري ايام كان لا فرق بين القطرين الشقيقين الا من بعض الوجوه . وقد كثر الاطباء اليوم في لبنان وعددهم يزداد في كل عام لان دارسي الفرنسوية والانكليزية لا يجدون عندهم من الصناعات القانونية غير هذه الصناعة اللهمّ الا الصيدلة فقد اندفع الى اقتباسها المنتهون من الدروس الثانوية . وسينتشر الصيادلة في البلاد انتشار الاطباء فيها وفي كثرتهم رحمة للعباد لا تخفى

المعارف في لبنان ادبية

وقد برع كثيرٌ من اللبنانيين بعلوم أُخر طلبوها في اوربا كالهندسة والرياضة الا انهم لم يجدوا مجالاً لها في لبنان فغادروه الى حيث يتمكنون من الاشتغال بها فلم يهبّ سواهم الى الاتساء بهم لكساد سوقهم في بلاد الشرق

وقد انشئت في رومه وباريز مدارس للبنانيين ولكنها خُصت برجال الدين وفي لبنان من متخرجيها اليوم عدد غير قليل من الكهنة والرهبان بينهم محبو الفلسفة والرياضة وغيرها وكانت لهم منذ ٣ قرون مدرسة في رومة اخرجت كثيرين من العلماء

فلقد تبين مما مرّ امران : الاول منهما هو ان اللبنانيين يطلبون العلم حيثما تيسر لهم اخذه فان فاتهم في بلادهم سعوا اليه في بلاد اخرى مهما بعدت شقتها ولا يرضون بان يكونوا جهلاء . فان خلا لبنان من صروح العلم في بعض الاحيان فانه لم يخلُ من العلماء في زمن من الازمان منذ حفل بالسكان . فالمشاهير منه اليوم خلفوا غيرهم ممن طواهم بطن الارض .

فعلماء التاريخ خلفوا البطريرك بولس مسعد والدويهي والامير حيدر وهولاء جاءوا بعد الباني وابن شباط والقلاعي وجاء هولاء بعد غيرهم الى عهد لبنان الاول . وعلماء اللغة تقدمهم الشدياق واليازجي والدحداح . وعلماء الشرائع سبقهم نقولا النقاش والمطران يوحنا حبيب والبطريرك يوحنا الحاج والخوري عبدالله العقيقي ومن قارنهم . وعلماء العلوم الأُخر كان قبلهم بطرس البستاني بعد السمعاني والحاقلاني . والاطباء خلفوا الاطباء والشعراء الشعراء والخطباء الخطباء وهلمَّ جرًا الى آخر عهد لبنان رجوعًا . ولم تنقطع اللغة السريانية التي حلت محلها العربية بل فيها مؤلفون وباحثون الى اليوم كالكفري واضع الغراماطيق المعروف باسمه والقرداحي مؤلف المعجم السرياني الجديد . وللغات الاخرى علماء ايضًا من متفرديهم المطران نعمة الله الدحداح الذي لم يمت بموته ذكر معارفه الواسعة . وغيره كثيرون احياء لم اذكر احدًا منهم لكثرتهم ومنهم من يقيمون في لبنان ومنهم في جواره ومنهم من فصل البحر بين مقامهم وبينه

والامر الثاني هو ان المدارس العديدة نشرت بساط العلم في لبنان كله نشرًا غريبًا فقام على اساس راسخ لم يبقَ سبيلٌ الى الخوف من تزعزعه بل ان العصر الحاضر سيزيده بتقدمه قوةً ومكانة . ولكنه بالعموم لم يزل اساسًا يجب البناء عليه . فانك اذا جبت لبنان تجد اللغتين الفرنسوية والعربية عامتين انحاءه بجميع فروعهما وترى بهما الكتبة والشعراء والخطباء فتعود بالدهشة والاستغراب . غير ان هذا كلُّ علمهم فلا علوم اجتماعية هناك ولا يعرف احد منهم ما تحتاج اليه البلاد . فلا تجد هنا فيلسوفًا وهنا مهندسًا وهناك رياضيًا وهنالك حاسبًا او صانعًا او اصوليًا الخ . بل تجد الكل متساوين بالمعارف الادبية والتفاوت بينهم ان هو الا بالتمكن منها اقل او اكثر . وفاتهم ان اكتفاءهم بها يحول دون ما يرجى منهم من خدمة الوطن لانها لا تزيد عن كونها ادبًا واجادةً للقراءة والكتابة

ولما كانت معارفهم في مدارس لبنان كلها ادبية انصرف اصحابها الى الاستخدام او التدريس او هجروا الوطن واستحال عليهم العمل في بلاد الدولة لاسبابٍ منها جهلهم لغتها . ومَنْ من المقيمين ابت نفوسهم الاَّ الاستقلال انشأ بعضهم المطابع والجرائد فزادوا الوطن صناعتين شريفتين كان لهما اعظم تأثير في شؤون الامم الحرة المتمدنة والدول الكبرى ألا وهما الطباعة والصحافة

الصحافة والطباعة

وكان داود باشا الجليل المآثر اول موحٍ بهذا العمل الخطير فانشأ مطبعة

وجريدة في بيت الدين مركز الحكومة اللبنانية العام . الآن الجريدة صارت الى العدم مع سائر اعمال هذا الرجل العظيمة بعد قدوم خلفه فرنكو باشا واعتيض عنها في الشؤون اللبنانية بجريدة حديقة الاخبار التي انشأها في بيروت ذو السعادة خليل افندي الخوري وهي تنشر بالعربية والافرنسية الى اليوم . واول صحيفة ظهرت بعد ذلك مجلة الصفاء فظلت تبدو حيناً وتغيب احياناً حتى بات لبنان خلوًّا من الصحف الى عهد واصا باشا . فاحدثت في ايامه جريدة لبنان المنشورة اليوم في بعبدا مركز المتصرفية الشتوي واستمرت وحيدة الى ان اتى نعوم باشا فابطلها في اوائل عهده . وكانت بعض الجرائد البيروتية تنشر اعلانات لبنان القضائية . وفي عطلتها انشئت جريدة الروضة فظهرت في بعبدا ايضاً واستقلت بالاعلانات المذكورة حتى عادت جريدة لبنان الى الظهور فتقاسمتاها . ثم حوّلت مجلة الصفاء الى جريدة اخبارية باسمها وصدرت عن قرية عبيه من قضاء الشوف وهي لم تزل كذلك الى اليوم . ثم أنشئت جريدة الارز في جونية مركز قضاء كسروان وقد رخص لصاحبها من زمن غير بعيد ان ينشرها باللغة الفرنسوية وأُعطي امتيازًا بمجلة تسمى ضياء الالباب . ثم نزلت مجلة الرئيس الى ميدان الصحافة تصدر عن جونية مرة في الشهر . وآخر الصحف اللبنانية عهداً جريدة النصير تطبع في قرية الحدث المحاذية لبعبدا

وكل هذه الجرائد تصدر مرة في الاسبوع الاَّ الارز فقد ابتدأت من اول هذا العام ان تظهر كل يوم حسب امتيازها وهي اول جريدة يومية في لبنان والجريدة الرسمية للحكومة اللبنانية بناءً على الاتفاق الذي ابرم بينها وبين دولة المتصرف الجديد . وتمتاز عن سائر الجرائد الرسمية في بلاد الشرق بانها يومية وبان نصفها غير رسمي معدود للانباء العمومية كالجرائد الحرة السيارة . ولكلٍ من هذه الصحف مطبعة خاصة بها الاَّ مجلة الرئيس . وقد اخذت امتيازاتها من الاستانة العلية الاَّ الاولى وهي التي انشأها داود باشا فانه قد احدثها بامره عملاً بما يوليه اياه امتياز لبنان ولم يتنازل خلفاؤه عن هذا الحق الالاغراضٍ ليس هنا محل النظر فيها

اما المطابع الاخرى الموجودة في بعض الاديار فقد ابطل اكثرها باهمال اصحابها لها لا لسببٍ آخر . والمعروف منها اليوم مطبعة دير الشرفة التي جدّدها على الطرز الحديث رئيسه السابق السيد بطرس هبرا مطران الموصل الحالي . ولغبطة السيد افرام رحماني يد مشكورة في هذا التجديد وهي مخصوصة بمطبوعات الدير وبعض ما قويت علاقته بالطائفة السريانية

ويصدر عن هذه المطابع كل يوم كتب جديدة من اوضاع اللبنانيين وتآليفهم وتعريبهم ولكن بما لا يفيد البلاد كثيرًا لاسبابٍ منها تقييد الطباعة كما سيأتي

الصناعة والزراعة

اما سائر الصناعات اليدوية فكثيرة ولكنها تكتسب من غير علم قانوني بل بالطريق التقليدية فتنقل من سلف الى خلف بالتمرين وطول المزاولة · ومع ذلك فمنها ما هو متقن معجب كالحياكة الزوقية فقد اصبحت منسوجاتها تعدّ من النفائس ولا تقلّ قيمة عن اثمن العاديات وهي لو نشطت لاغنت البلاد عن كثير من صناعات الغربيين التي من قبيلها · والغربيون انفسهم يتنافسون باقتناء شيء منها ولا عجب فانها من اعزّ ما تزدان بهِ قصور الملوك ومن انفس ما يُهدى اليهم · وقد كسدت صناعة المنسوجات الأُخر ايضاً في بيت شباب وبكفيا وبسكنتا وغيرها حتى لم يبقَ فيها جميعًا اليوم ما يزيد على ٦٠٠ نول · وفي هذه القرية صناعة الاجراس والنواقيس وما شاكلها وقد ضارع بها اصحابها صناعة رومة المشهورة حتى استغنت سوريا كلها من زمنٍ بعيد عن ابتياع الاجراس والصنوج وغيرها من رومة · ولم تزل هذه الصناعة المهمة محصورة هناك لم تمتدّ الى بلدٍ آخر · وقد اتقنت صناعة البناء والنجارة الشرقيتان ايضًا وغيرهما من الصناعات الوطنية الضرورية ولكن كلها لم تبلغ ما بلغته تربية دود الحرير من النجاح حتى عُرف بها لبنان وذلك لان الاكابر والاصاغر اشتركوا بها فلا يستعيب وجيه ولا تستحقر سيدة نبيلة او مثرية سهر الليالي لاطعام الدود واستثمار فيالجها واستصناع حريرها · ولهذا عمت لبنان منافع هذه الصناعة مع انها فيه بدون علم البتة · وقد ابتدأَت اصول بستور ان تجرَّب في بعض البيوت التي فيها اهل علمٍ وبحث · وكثرت ايضًا معامل غزل الحرير في عموم الانحاء اللبنانية وهي تُعدُّ اليوم بما يربو على المائة وخمسين معملاً كبيرًا حتى اصبحت صناعة وطنية · وقد اعارها دولة مظفر باشا المتصرف الجديد عناية مخصوصة تُذكر له بالشكر والثناء فاحدث لها غرفة في دوائر الحكومة وألّف لجنة تجتمع برئاسته في الاحد الاول من كل شهر لتتباحث في امر ترقيتها من جهتي العلم والعمل · اما الزراعة فلم تزل على الفطرة ولم يدخل اليها بعد شيء من الاصلاح والتقدم · ولبنان الذي يوزّع مياهه على سوريا باجمعها بقيت فيه انهر وينابيع غزيرة مشهورة يذهب اكثرها سدى · واراضيه الظمأى تعطي بلا سقي موسمًا وافرًا كل عام فكيف بها لو حصلت على ريّ منتظم · وليست كاراضي البلاد الاخرى محتاجة للتربة بل يكفيها القلب والريّ على ما يعرفه علماء الزراعة وتوزيع الماء في المواعيد المنتظمة فتقبل وتخصب بما لا يبقى وراءه

مطلب لمستزيد . وهي اليوم

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمولُ

وهناك شؤون اخر كالمناجم والمعادن لا تستثمر كالاشياء السابقة بغير العلم وهذا ما حملني على الاشارة اليها في مقام ليس مقامها وقد انتبه اليها دولة المظفر وعلمت انه صارف اليها همة عالية ولكن لا يقوم بها الا اوربيون علماء بهذه الخصائص وليس مثل هذا التدبير على عزيمته بعزيز

اسباب تاخر المعارف

وبعد هذا الاستطراد اعود الى موضوع المقال مبيناً ما اعتقده يقعد بالعلم في مدارس لبنان وصحافته وهو يتناول اموراً كثيرة ترى العلم ينهض على الرغم منها و يسير منتشراً غير حافلٍ بالعقبات الكوؤد التي تعترض طريقه . منها ان الحكومة اللبنانية لم تنشطه بشيء ولم تعن باحداث مدارس تحت ادارتها فكان خدّامها اصحاب النفوذ المستمد من ذوي السيطرة والتسلط بقوة الوجاهة واتساع الثروة لا بمقدار الاهلية والجدارة . واذا كان في رجالها من هم على شيء من العلم فانهم لديها لشدة الاضطرار اليهم اما لستر الاغراض واما لمقاصد اخر ليست منها افادة الامة والبلاد . ومن تلك الاسباب ان المنصرفين الى العلم هم في الغالب غير اصحاب الثراء فاذا وضع او ترجم احدهم كتاباً لا يجد سوقاً يروج فيها واذا تمكن من جمع مقدار نفقته فيكون من الفائزين . ومنها ان المتعلمين لا يلاقون مراكز يشغلونها فينادون بوجوب الاصلاح من لا يفقهون له معنىً فيعدّون من الكافرين او يلجئون الى المهاجرة فلا يستفيد منهم لبنان شيئاً . ومنها ان المؤلفين لا ينظرون الى شؤون البلاد ولا الى حاجاتها بما يؤلفون او بما يترجمون وهذا من اسباب الكساد الذي تصادفه بضاعتهم . ولا غرو فانهم لم يتعلموا شيئاً منها فيكتبوا فيها و ينبهوا اليها او يعلموا ما يعود بالفائدة عليها . ومنها ان قادة الامة لا يفهمون الا بالجيوب ولا يفقهون غير الحاصل وكل علمٍ لديهم محتقر والعالم ذليلٌ مهزوءٌ به . ولا عجب فان من جهل شيئاً احتقره او عاداه . ومنها ان ليس في لبنان مدرسة واحدة وطنية عمومية والمدارس كلها كما رأيت اما اكليريكية لمنفعة رجال الدين في شؤون الدين واما خصوصية اقامها افراد على نفقاتهم وكلها على وتيرة واحدة فلا تنظر الى ما يحتاجه الطالب في بيئته من المعارف ولا الى ما تقتضية منها المصلحة العمومية وشروط الوطنية من الدروس الاجتماعية . ولهذا اهمل كثيرون ما تعلموه بل عادوا العلم واصحابه فعدّوا من ذوي البصائر وارتفعوا منزلةً وقدراً . ومنها ان الرؤساء الروحيين

ولئن كانوا على عكس هذه المبادئ فيما بينهم وللعالم منهم شأنه باعتبار اخوانه الا انهم اهملوا الشعب اهمالاً ولم يمدوا له في العلم يداً مسعفة ولا حلموا بالسعي وراء ترقيته مع ما شادوا من المدارس العالية في لبنان وبيروت ورومية وباريز لتهذيب الاكليريكيين وما استندوا من سخاء الحكومات والدول في هذا السبيل . وهم يعلّمون الكهنة ولا يوجدون لهم مراكز تسعفهم على الافادة بعلومهم فيأتيهم العلم بالشقاء ويحرمهم نعيم الاغبياء . وليسوا رهباناً فيعتزلوا ولا عوامّ فيشتغلوا بشؤون الحياة الاخر

ومن تلك الشكائم في فم العلم تقييد الصحافة والطباعة فانها بعد ان كانت حرّة ضيقت عليها الدائرة بان احدث لها دولتلو نعوم باشا مراقبة وقتية ناظراً بذلك الى حداثة عهدها حتى لا تسير في طريق الفوضى والشطط . ولكن المراقبة اضرّت بنموها لان المفيدة بينها قاست منها مايقاسيه الحرّ من نكد الدنيا مع انها لم تأتِ وهي مطلقة امراً اداً ولا شطت ولا عمهت الاّ بعد تكبيلها اذ استرسل بعضها في الثناء المرغم والمدح المأمور وذهب في الاطراء والتمليق كل مذهب . ولم يُسمح لها ان تحوي صفحاتها ما من شأنه الانهاض والتهذيب ولم يكن للتنبيه الى مواضع الخلل في ابحاثها من نصيب . لان المراقبة سدّت دونه المنافذ وقطعت طرق اللياذ الابها وعادت كل حرٍّ غير لائذ . وقد بات العقلاء يرجون زوالها لرسوخ الصحف في فن الصحافة فلم يبقَ محلٌ للخوف من تطرّفها لانها اذا تطرّفت فالمحاكم تسدّد خطواتها وتؤمّن عثراتها . والناس لا يستسمنون الورم فانهم يحتقرون الطعن والطاعن ويهزأون بالمملقين وبتمليقهم ومعظمهم اليوم يجيد التفريق بين غث الكتابة وسمينها وللحكومة بهم اقوى مسعفٍ في اعلاء شأن الصحف المفيدة

واما اصلاح مناهج التعليم وترويج اسواق العلم في لبنان فان لهما طرائق كثيرة يسهل التمشي عليها لو رضي اصحاب الشأن . اهمها احداث مدارس وطنية بين عالية ووسطى وابتدائية بالاوقاف العمومية والخصوصية وهي كثيرة جداً ووافرة الدخل وكلها ذاهبة في سبيل فئات قليلة والعموم محرومون من فوائدها مع انها لم تُجعل الاّ لفائدة العموم . فلو فاز دولة المتصرف الهمام بالاتفاق مع الرؤساء الدينيين على تخصيص شيء من ثروات الكراسي الاسقفية اومن اموال الرهبانيات الطائلة التي لا تقل عن نصف ما تملكهُ بعض البلاد بمنشئآت عمومية تقام فيها المدارس العلمية والصناعية المشار اليها لما نقصت تلك الاملاك الواسعة ولا الاموال الطائلة شيئاً ولا مسّ استقلال رؤساء الاديار الرهبانية اقل مساس . ولا اظن الوصول الى هذا الغرض الشريف بالامر المستحيل الا اذا لقي عقبةً بايهام ان تلك

والاموال اوقاف وقد كادت تجهز على ثروة البلاد فلا حول ولا قوة الاّ بالله . ولكن كيفما كانت الحال لا يصعب الاتفاق مع بعض الاسر التي لديها من الاوقاف الخاصة ما يقوم باعباء مثل هـذه الاعمال النبيلة وهي اسر تعودت البذل في سبيل الوطنية فلا تضنّ بتحقيق نيات الحاكم العادل . ولا اظنها تحجم عن توجيـه تلك الموقوفات التي لا تحسن الانتفاع منها الى انشاء الشبيبة اللبنانية غير ناظرة الى المذاهب فيشدو لبنان بنعمتها الى ما شاء الله

هذا ما رايت ان اوجه اليه نظر دولتلو مظفر باشا في ختام هذه المقالة متعللاً بان انتباه القادرين في لبنان من ذلك السبات الطويل يجيبه الى ندائه فيفوز لبنان بالامنية التي لم ترقَ بلادٌ بدونها الى مراقي العمران ويرتع اهلوه بعد طول الشقاق في ظلال الاخاء والوفاق ويخرجون من ظلمات الجهل الى عالم العلم الصحيح ان شاء الله

صبيٌّ حكم وصبيٌّ سيحكم

عثرنا في هذا الشهر على رسم لسمو الامير « محمد عبد المنعم » ولي عهد الجناب الخديوي . وبينما كنا نعدّه للطبع عثرنا على رسم آخر لصبيٍّ ملكٍ آخر فضممناهما معاً في هذه النبذة

اما سمو الامير الصغير محمد عبد المنعم فقلما يعرف احدٌ شيئاً عنه . ولكن لو كان البلاط الخديوي في اوربا لما بقي شيءٌ من حركات ولي العهد وسكناته الا وقيدته الصحافة ونشرته كتفكهة لقرائها واستمالة لقلوب الجمهور اليه منذ صغره

واما الصبي الثاني « جلالة الملك الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا » فان جرائد اوربا لم تترك شيئاً من تاريخ حياته الا ونشرته . ولا بأس بنشر شيءٍ منها هنا

بلغ الملك الفونس سن الرشد في العام الماضي فاحتفل بتتويجه الاحتفال الذي يذكره القراء . وسن الرشد لابناء الملوك ١٦ سنة مع انه لسواهم ٢١ . فكأنَّ المبالغة بتدريبهم وتعليمهم تعوض عليهم الخمس سنوات

ولقد نشأ الملك الفونس تحت وصاية امه الملكة ماري كريستين وهو يحبها حباً شديداً . واذا اتفق وعصي لها امراً فانها كانت تقول لهُ انني سابكي اذا لم تفعلهُ . فيفعلهُ بالحال

وقد توفي ابوه الفونس الثاني عشر وهو في بطن امهِ . فلما وُلد نودي به ملكاً . وهذا

امر مفرد في التاريخ ولم يجرِ له شبيه الاَّ مرة واحدة في فرنسا حين ولادة الملك حنا الاول ملك فرنسا في سنة ١٣١٦ وحياته خمسة ايام فقط . ومذ بلغ الفونس السنتين من عمرهِ صارت امه تصطحبه الى الحفلات العمومية وافتتاح البرلمان فكان يجلس على العرش بجانبها وهو طفل



الامير محمد عبد المنعم ولي عهد الاريكة الخديوية

وكانت الكبرياء الملوكية تجري في مفاصله مع دمه ولذلك كانت امه تفرغ وسعها في تعليمهِ الاتضاع واللين . فمن ذلك انَّ موءدبته اضطرَّت الى تعنيفه يوماً لانه اساء وكان عمره سنتين فنظر اليها بكبرياء وقال « انا الملك » وفي مرة اخرى لقيه احد اكابر البلاط وكان عمره ثماني سنوات فقال هذا الرجل متحبباً اليه « بوبي » وهو الاسم الذي كانت تناديه به

امه تحبباً فاجابه الفونس « انا بوبي عند امي ولكنني (الملك) عندك »

ثم شبَّ الملك الفونس وصار يدرك شؤون الحياة وشؤون وظيفته بتدريب مدرّبيه



الملك النونس الثالث عشر ملك اسبانيا ووالدتهُ

وتدريس مدرّسيه . ففي ذات يوم كان يزور معملاً فانتصب احد العملة واستأذنهُ في

الخطابة باتضاع وذل . فقال الفونس لمرشده الذي كان يرافقه : لماذا يخجل هدا العامل من عمله فانني انا عامل مثله . ولا فرق بيني وبينه سوى انهُ يعمل في الحديد وانا اعمل بالاوراق والقرارات

والفونس فتى كريم الاخلاق هادئ لطيف كما ترى وهو نحيف الجسم محدوب الظهر قليلا كأنه ينوء تحت الحمل الثقيل الذي وُضع على عاتقه . والفضل في اعداده لوظيفته وحفظ ملكه له راجع لامه الفاضلة التي قاست في السنوات الاخيرة من الحرب الاميركية التي ضعضعت عرش اسبانيا والاضطرابات السياسية الداخلية ما جعلها في التاريخ مثالاً في الصبر وثبات الجأش وحسن الادارة لجميع النساء والامهات . على ان المستقبل لا يزال مظلماً في وجه ابنها لاختباط الاحزاب في بلادهِ . ولو قام الاندلسيون الذين قصصنا قصتهم في صدر باب المشاهير في هذا الجزء من قبورهم اليوم وشاهدوا حالة اسبانيا الحاضرة لرأوا ان الدهر قد انتقم لهم انتقاماً شديداً . ولتعزوا بكون الدهر يدور كالدولاب يوم للانسان ويوم عليه

وقد نشرنا رسمي الصبيين الكريمين في هذه النبذة بعد مباحث العلم والفلسفة والتاريخ لان منظرهما مما ينشر عليها شيئاً من بهاء الصبى وجماله ويشغل الذهن عن شؤُون الحياة الحقيقية

مدارس زراعية بطرق جديدة

﴿ وادخال هذه الطريقة الى القطر المصري ﴾

اقتراح

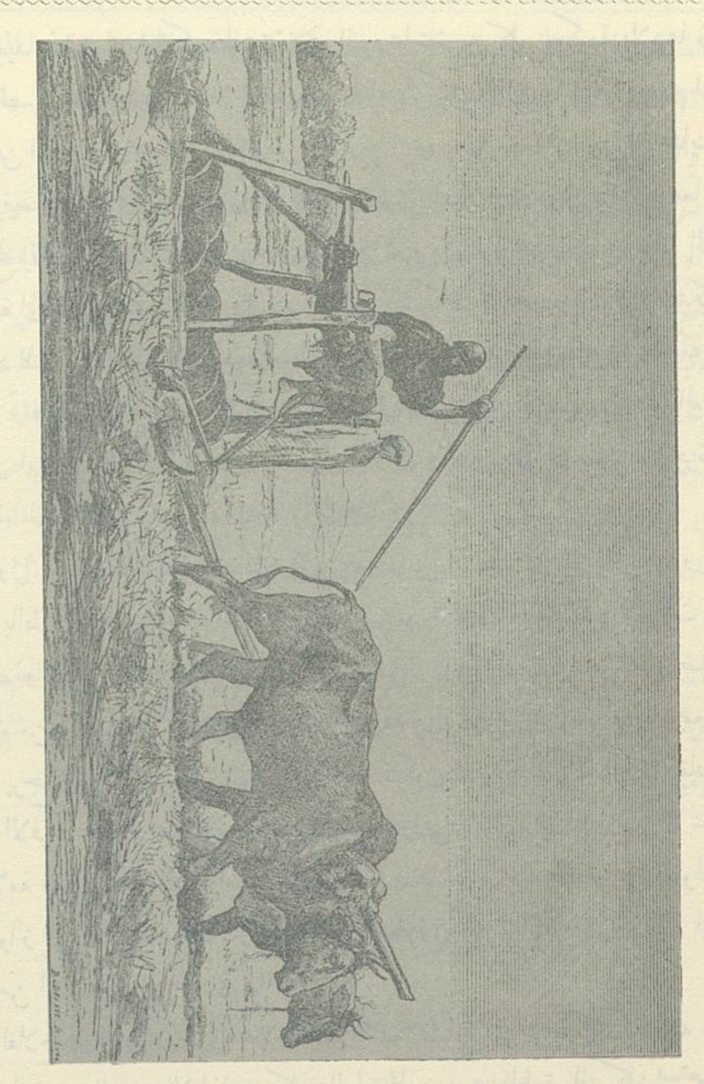
الزراعة حياة مصر : هذا قولٌ يردّده كل حاكم في مصر وكل مقيم فيها . وهو قولٌ صحيحٌ من الجهة المادية . ولذلك كان همُّ الحكومة مصروفاً الى ترقية شؤُون الزراعة فيها . فنظمت الريّ اي توزيع ماء النيل على الزراع واقامت القناطر في مصر وازالت السدود من اعالي النيل وانشأَت الخزانات العظيمة في اصوان واسيوط . وكل هذا في غاية النفع والفائدة للقطر اذ به حياته المادية كما قدّمنا . ولكننا مع ذلك نعتقد ان الحكومة لم تصنع بعدُ كل ما تستطيع صنعهُ لترقية زراعة القطر ترقية تعود بالفائدة العمومية على اهله

ونريد بذلك ان الحكومة لم تهتمّ حتى اليوم بما تهتم بهِ كل حكومة بلادها زراعية . فهي قد قصرت عنايتها على اصلاح الارض والماء وتركت الزارع وشأنه . ومعلوم ان الزراعة عبارة عن اتفاق بين فريقين : الارض والزارع . فهو يعتني بها وهي تردّ لهُ عنايته . فالذي يريد ترقية الزراعة في احدى الممالك يجب ان يهتمّ باصلاح الارض والزارع معاً . والاّ فانه اذا أُصلح الارض فقط وترك الزارع وشأنه بلا تدريب ولا تعليم ادّى هذا الامر بحكم الضرورة الى مصيبة على البلاد وهي تنبيه نفوس الشركات واصحاب الاموال لاحتكار الارض لان الفرد الساذج الجاهل لا يستطيع حفظ ارضه بازائهم لجهله طريقة استثمارها وضعفه عن مجاراة مزاحميه . وبذلك يقع الشعب في المصيبة التي هي مصيبة كل الشعوب في هذا العصر : وهي استغراق املاك الشركات وارباب الاموال املاكه ومصيره الى خدمتهم بالاجرة اي الى العبودية الحديثة التي تُدعى استئجارًا واستخداماً

فاولُ واجبات الحكومات اذاً ان ترفع نفوس الشعب الى درجة يكونون عندها عارفين بالطرق الصناعية الزراعية التي يحاربهم بها اصحاب الاملاك والشركات ليتسنى لهم مزاحمتهم والجريان في تيارهم اي ان تعلمهم تعليماً زراعياً ادبياً يمنعهم من اضاعة ملكهم ويمكّنهم من استخراج اكثر ما يمكن استخراجه منه . ولذلك تأَلفت في اوربا جمعيات كبرى للزراع يرجع اليها كل فرد في شؤُونه وحاجاته فتكون له بمثابة شركة كبرى تقاوم الشركات وتقوي الافراد عليها . هذا فضلاً عن التعليم الزراعي الالزامي في المدارس الابتدائية لجميع ابناء الامة استمالةً لاذواقهم واميالهم الى الزراعة واطلاعاً لهم منذ الصغر على اصولها . وفضلاً عن الجوائز التي تهبها الحكومة للزراع الذين يعجزون عن مجاراة زراع بلاد اخرى في صنف من الاصناف التي يزرعونها

فالفلاح في القطر المصري يحتاج اليوم اشد احتياج الى عناية الحكومة به افرادياً بعد عنايتها بارضه ومائه . والا اذا بقي كما هو اليوم يفلح ويزرع بالطرق التي كان يستعملها اسلافه في مصر في عهد الفراعنة (كما لاحظ ذلك غبريال شارم في سياحته) فان كل الفوائد التي تحصل في مصر من اتقان الريّ وبناء الخزانات واصلاح الاطيان تنصرف الى سواه . ومعلوم ان الفلاح في مصر هو الشعب كله

ولسنا نعني بذلك ان تنشئ الحكومة مدارس الزامية عمومية لتعميم تعليم اصول الزراعة ولا ان تقرض الفلاحين اموالاً طائلة يبتاعون بها الآلات الزراعية الحديثة وتعلمهم استعمالها . ولا ان تسعى الحكومة نفسها في ادخال اصناف جديدة من المزروعات والمغروسات



﴿ الفلاحة في مصر والسودان ﴾
بالطرق التي كانت منذ ايام الفراعنة

الى القطر لتنويع زراعته وحث زراعه على هذا التنويع الضروري بدلا من اقتصارهم على صنفي القطن والذرة بالاكثر وعلى شيء قليل من قصب السكر و بعض الحبوب لسد الحاجة. فان كل هذه امور صعبة بعضها فوق استطاعتها الآن لحاجتها الى المال و بعضها ليس من شؤونها. وهي تكتفي من كل ذلك بمدرستها الزراعية التي تقوم بوظيفتها « المحدودة » خير



الساقية في مصر لاستخراج الماء

بحسب الطريقة القديمة

قيام . وانما نريد بما نقترحه هنا امرًا سهلاً لا تنفق الحكومة عليه شيئًا وهو مؤدٍّ الى شيء من الغرض الذي بسطناه آنفًا اي تعميم الاصول الزراعية العلمية بين جمهور الزراع في مصر لانهم الشعب وهم سواد الامة واساس مستقبلها

وهذا الامر السهل نأخذهُ من مملكة « ورتنبرج » احدى ممالك المانيا المتحدة . ومداره على انشاء « مزارع مدرسية » عمومية بطرق جديدة تفرَّدت بها هذه المملكة الصغيرة التي لا يزيد عدد سكانها عن مليوني ونصف نفس

وبيان ذلك ان هذه الدولة اقتطعت اطيانًا واسعة من اطيانها الزراعية واعانت ان تؤجر منها كل من يريد الاستئجار وتتنازل له عن ثلث اجرتها او نصفها ليعلّم لها في مقابلة ذلك ١٢ تلميذًا او فلاَّحًا في كل سنة اصول الزراعة علمًا وعملاً . فالراغب في ذلك يستأجر هذه الاطيان ويقبل عنده الاثني عشر رجلاً ويدرّبهم في زراعة هذه « المزرعة المدرسية » ويجب عليه ان يجعل الزراعة فيها تابعة لمعارف تلامذتهِ ومنطبقة على جدول الدروس المدرسية في المدارس الزراعية . ومن واجباتهِ في اثناء التجارب الزراعية مراقبة الدروس التي يكون هؤلاء التلامذة او الفلاحون قد تلقوها في المدرسة الاصلاحية اذا وجد فيها خطاء . وتلامذته يعملون في مزرعته بكل طاعة له دون ان يأخذوا اجرة لعملهم ولكنهم ينامون في المزرعة ويأكلون ويشربون على مائدتها . والحكومة تساعد مستأجر المزرعة فضلاً عن ذلك بان تعيّن له معلمًا في الزراعة ومفتشًا وطبيبًا بيطريًا يترددون على هذه المزرعة لمراقبة احوالها دون ان يطالبوا اجرة منه . وقد قلنا ان عدد التلامذة او الفلاحين الذين تدخلهم الحكومة الى هذه المزرعة ١٢ رجلاً ولكن اذا ادخلت الحكومة اليها اكثر من هذا العدد فانها تدفع للمستأجر مكافأةً مالية في مقابلة هذه الزيادة

فالتلميذ او الفلاح يقيم في هذه المزرعة المدرسية سنة او سنتين ثم يخرج منها عالمًا بجميع اصول الزراعة . فهو يتعلم فيها احوال التربة المختلفة والهواء وتركيب السماد واستعماله وزراعة النباتات والحبوب والاشجار المثمرة وصنع العلف وتربية الحيوانات الداجنة وطرق التجارة الزراعية ومعرفة تدبير شؤون المزرعة اجمالاً ومبادىء الحساب الضروية وكتابة الرسائل ومبادىء العلوم الطبيعية الاولى . وبعبارة واحدة نقول انه يخرج منها وهو رجل رشيد بصير اديبًا وزراعيًا قادر على ادارة زمام نفسه وزمام ارضه فاذا القته الاقدار بعد ذلك على ارض صخرية فانه يجعلها بقوته ومعارفه وصبره اخصب تربة ويحوّل ارضها ذهبًا

ومما لا يحتاج الى بيان ان مدارس اوربا الزراعية المنتشرة في كل بلادها لا تخلو من

حدائق وحقول ملحقة بها لتعليم طلبتها الزراعة بالعمل وهم ياخذونها بالعلم . ولكن ليس في جميع اوربا مدارس زراعية كهذه « المزارع المدرسية » التي مرَّ ذكرها والتي يمكن التصرف بها في بلاد كمصر مثلاً تصرفاً يلائم المكان

مثال ذلك ان تؤجر الحكومة باجرة قليلة اطياناً لها في كل مديرية لمن يريد جعل هذه الاطيان مزرعة (عزبة) مدرسية عمومية . وهذه المزارع المدرسية تكون مفتوحة الابواب دائماً لجميع زرَّاع القطر وفلاَّحيه كأَنها معرض عمومي دائم يحق لكل زارع ان يدخل اليه في الوقت الذي يريده ليشاهد ما فيه من الطرق الزراعية . وكل من يريد من الفلاحين او الزرَّاع ان يتعلَّم اصول زراعة يستحسنها في هذه المزارع فلهُ ان يخدم في احداها اسبوعاً او شهراً ليتعلَّمها . وفضلاً عن ذلك فان كل واحدة من هذه المزارع تعلِّم التلامذة الذين تقدمهم اليها الحكومة على طريقة مزارع ويرتنبرج . وبدلاً من الموالد والحفلات التي تُقام دائماً في الارياف لغير فائدة تقام في هذه المزارع في كل شهر حفلات للفلاحين والزراع يحق ان تسمى « موالد زراعية » او « معارض شهرية » ـ والفكرة الكبرى التي يجب ان تدير هذه الاعمال كلها وتكفل نجاحها تنبيه نفوس الشعب الراقدة الى ان الطرق القديمة لم تعد تجدي نفعاً وان الشركات وارباب الاموال سيقوون عليهم لا محالة ويخرجون خيرات ارضهم من ايديهم اذا كانوا لا يقتصدون ويتحدون ويؤَلفون لهم جمعية تزود عن مصالحهم وتعمم الطرق الزراعية العلمية في اطيانهم وتربي اولادهم تربية اقتصاديه وتكون واسطة بين الهيئة الحاكمة وبينهم

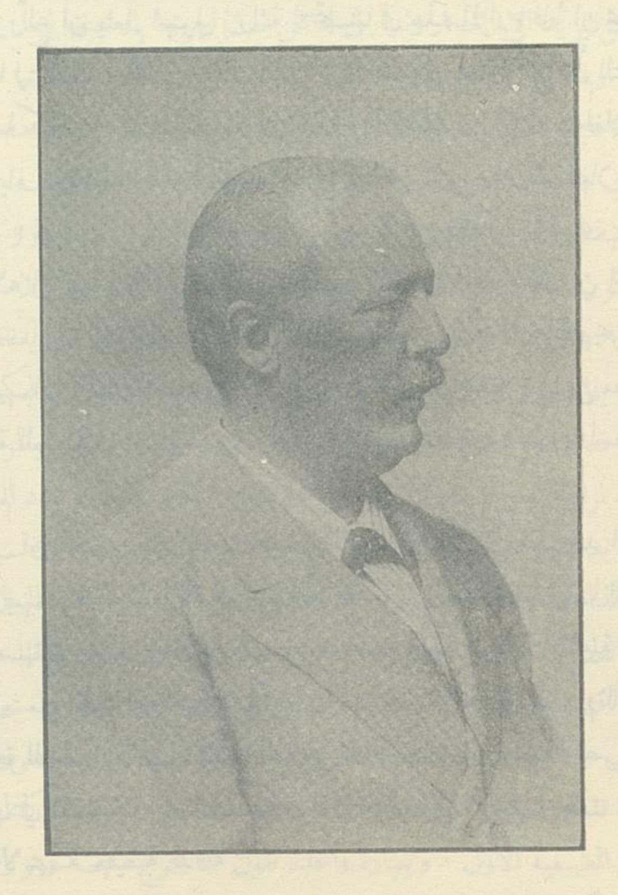
ولا ريب ان الحكومة اذا التفتت هذا الالتفات الى فلاَّحي مصر بعد افراغها جهدها في اصلاح ارضهم ومائهم فانها لا تخدمهم فقط خدمة زراعية تحفظ بها للشعب اطيانه التي هي عماد مستقبله وقوام حياته بل هي تخدمه خدمة ادبية في غاية الاهمية . لان ارتقاء معارف الشعب من الجهة الزراعية لا يمكن ان يتم بدون ارتقائه ادبياً . وتلك في رأْينا اول خطوة نحو التعليم الزراعي والادبي الالزامي الذي نعتقد ان حكومة مصر الكريمة ستجود به على الشعب في المستقبل . وبذلك تكون اول حكومة في الشرق نهضت بشعبها نهوضاً حقيقياً . اذ لا نهضة حقيقية بدونه



بين سواكن والاسكندرية

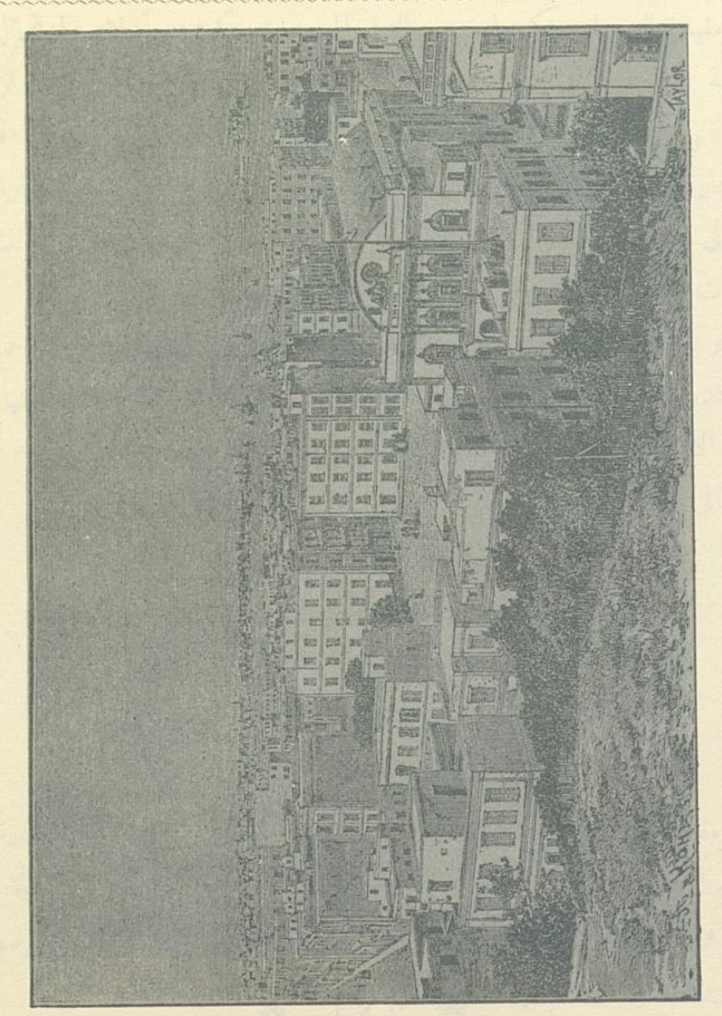
في خطبة جناب اللورد كرومر

لا نعلم ماذا كان رأي اهل صور وصيدا في ايام الفينيقيين لما بنى اسكندر المكدوني مدينة الاسكندرية . ولكن الراجح لدينا انهم لم يهتموا يومئذٍ بذلك اهتماماً يُذكر لانهم



اللورد كرومر

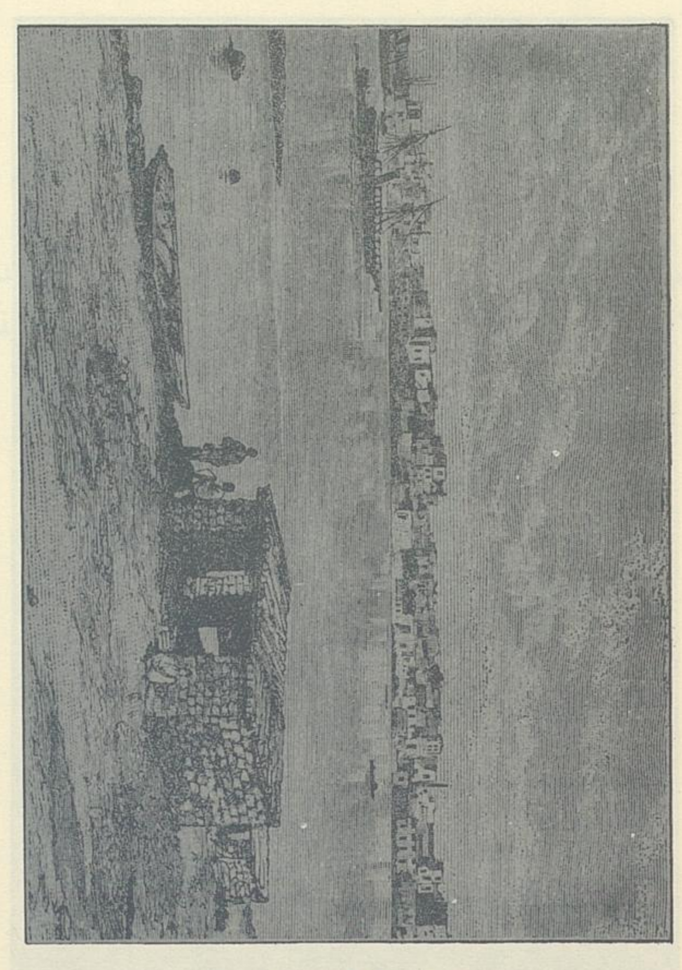
كانوا يجهلون ان مدينة الاسكندر الجديدة ستسقط مدينتهم عن عرشها التجاري وتحلّ



الاسكندرية

منظر من مناظرها من جهة تياترو زيزينيا

محلها في العالم. وكأَنَّ هذا المثال بقي حاضراً في اذهان الشرقيين الذين اتوا بعد الفينيقيين فصاروا يهتمون به اهتماماً شديداً . فهوذا مدينة بيروت تغضب كما روت الجرائد لان دولة متصرف جبل لبنان سعى في الاستانة بتحويل الجبل حق وقوف السفن في احدى موانيه كجونيه مثلاً لتحول تجارة الجبل عن بيروت اليها . وهوذا الاسكندرية تغضب من جناب اللورد كرومر لانه يريد ايجاد ضرَّة لها وهي مدينة سواكن على شواطىء البحر الاحمر



سواكن

التي ستضاهي الاسكندرية بعد نصف قرن

وقد اعلن اللورد كرومر عزمه هذا في الخطبة المشهورة التي القاها منذمدة في الخرطوم وكان لها دوي في جميع انحاء القطر . ومما قاله فيها انه لا يرجى لبلاد السودان عمران حقيقي الا اذا صار لها على شواطئ البحر ثغر قريب تستورد بضائعها منه بدلاً من استيرادها من الاسكندرية و بورسعيد . وضرب لذلك مثلاً بأن ثمن الطن الواحد من الفحم في الخرطوم اربعة جنيهات واكثر لما تقتضيه اجرة نقله . ولذلك كان لا بدَّ من مدّ خط حديدي من الخرطوم الى سواكن . ثم قال جنابه « وكثيرًا ما قيل بان هذه السكة الحديدية وان

كانت مفيدة للسودان ولكنها ستضر بالقطر المصري ضرراً شديداً لانها تحوّل التجارة السودانية عن وادي النيل · واما انا فلا ارى هذا الراي · لانني اعتقد ان مصلحة مصر تقتضي ان يصير السودان قادراً على القيام بنفسه وبنفقاته · وهذا امرٌ مستحيل اذا لم يفتح لتجارته باب قريب منه · وفضلاً عن ذلك فليست المسألة مسألة تحويل تجارة من مكان الى مكان بل مسألة ايجاد تجارة من العدم · وهذا الايجاد غير ممكن اذا لم تنشأ طرق المواصلات بين السودان والبحر الاحمر »

فغير بعيد ان لا تمرّ ٣٠ او ٥٠ سنة حتى تصبح « سواكن » على البحر الاحمر بمنزلة الاسكندرية من الاهمية في العمران والتجارة · وربما فاقتها ايضاً لانها اقرب منها الى خط السلطنة الافريقية الممتدة من الكاب · وحينئذٍ يُقال « من الكاب الى سواكن » لا « من الكاب الى الاسكندرية »

آثار مصر المتوسطة

في مصر آثار قديمة وحديثة ومتوسطة · فالقديمة ترجع الى عهد الفراعنة القديم ومدنيتهم القديمة التي استمدّت منها شعوب كثيرة · والحديثة ترجع الى عهد حملة بونابرت على مصر وقيام محمد علي باشا لادخال المدنية الحديثة اليها · واما آثارها المتوسطة فهي آثارها بين هذين الزمنين يوم كانت مصر متروكة لنفسها

واذا اردنا ان نصوّر في هذا الفصل شيئاً من الآثار المتوسطة فلسنا نعني بذلك انها قد اندرست الآن تماماً فان تلك الآثار لا يزال لها اثرٌ · وانما اردنا تقييد بعض تلك العادات والتقاليد القديمة شيئاً بعد شيء على سبيل الفكاهة والعلم بشؤون الزمن الماضي قبل ان يزول بعد ربع قرن او نصفه من وجه المدنية الداخلة بقوة عظيمة

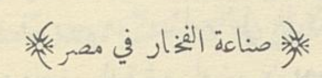
فمن ذلك هودج العروس في الاعراس وترى صورته في « **الرسم الاول** » محمولاً بين جملين بطريقة متعبة جداً للجمل الثاني

واما « **الرسم الثاني** » فهو رسم صناعة قديمة في مصر وهي صناعة الفخار (صنع البلاص) ·

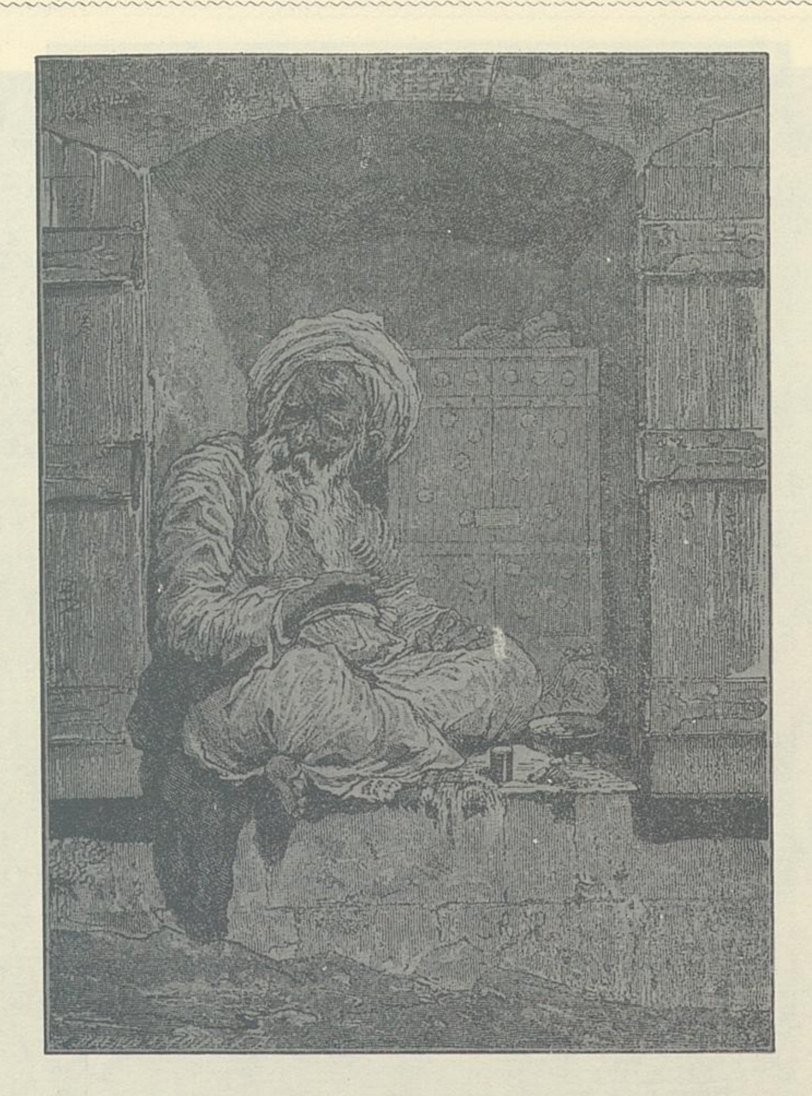


﴿ هودج العروس في زفاف ﴾

فهذه صناعة تعلمها اربابها دون ان ينتظروا فتح المدارس الصناعية التي يُدعى في كل حين اليها . وبذلك كان لهم فضل عظيم خصوصاً لان السواد الاعظم من الناس يقطرون الآن ماء النيل باوعية منها



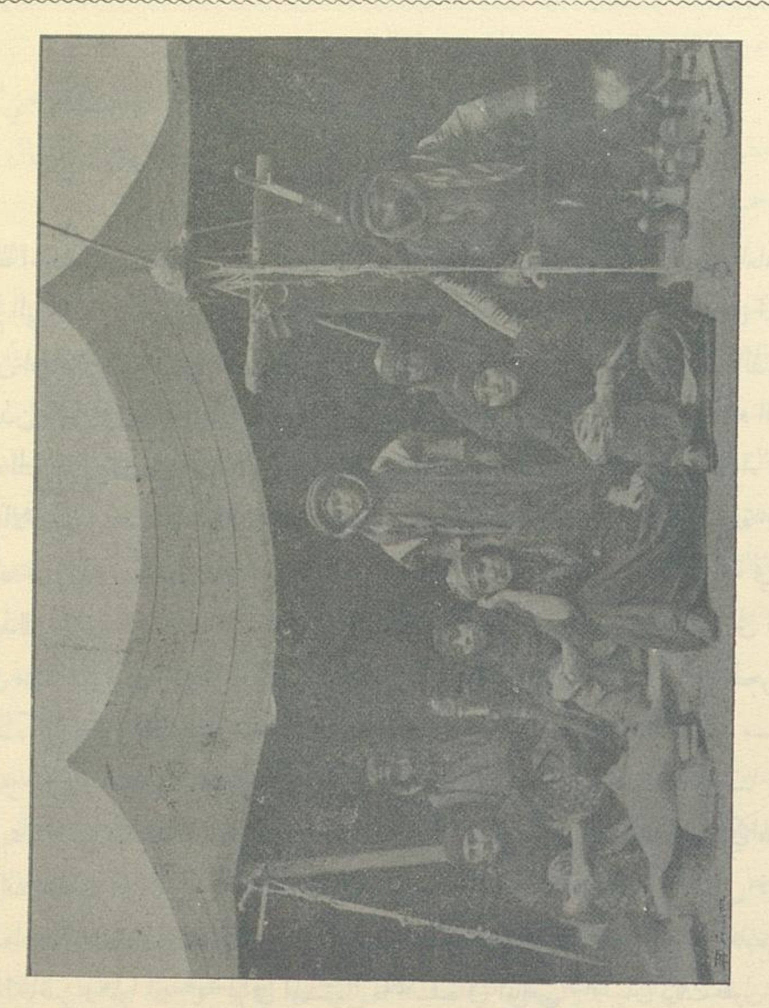
صناعة الفخار في مصر



صراف اسرائيلي قديم

واما « **الرسم الثالث** » فهو رسم صرّاف اسرائيلي بالزيّ القديم صناعته تبديل النقود واقراض الفلاحين جنيهاً بجنيه ونصف لمدة شهر او شهرين وهو لا يقرضهم الاّ برهن ..

بقيَ « **الرسم الرابع** » وهو رسم طائفة من البدو يعيشون في خيامهم في الارياف وهم منتشرون في اكثر جهات القطر . ولا بدّ ان يأتي يوم تهتمّ فيه الحكومة بتنظيم شؤون هؤلاء البدو الذين يعيشون في بلادها في احضان الحضارة . ولا يكون اهتمامها هذا لتحسين



عائلة بدو في خيامهم

احوالهم فقط وادماجهم في سلك الاهالي بدلاً من ان يبقوا كما همُ الآن فريقاً مسكيناً مستقلاً ضمن فريق آخر ولكن يكون ذلك ايضاً لتقليل حوادث السطو والاعتداء والسرقات والجنايات في القطر لانه يُقال ان كثيراً منها مصدره هذه الخيام البدوية

التمدن يُصلح ما افسده

(الكهرباء والبخار)

لما اخترعت ادارة الآلات بالبخار . وكثرت المعامل في المدن . وهجر العملة والعاملات منازلهم التي كانوا يعملون فيها بايديهم وهم في راحة وسكينة ليجتمعوا افواجاً افواجاً في المعامل تاركين اولادهم واطفالهم في الاسواق والشوارع . وتلا ذلك مهاجرة سكان القرى والضواحي الى المدن للعمل في هذه المعامل تاركين حقولهم الزراعية وقراهم الجميلة ذات الماء الصافي والهواء النقي . وعلت في الجوّ غيوم البخار متصاعدة من مداخن المعامل تفسد هواء المدن وتعمي الابصار . وفسدت آداب وصحة العملة والعاملات بازدحامهم في معامل ضيقة . وُجرّ الاولاد حتى الذين يبلغون السنة العاشرة الى المعمل للعمل ١٠ ساعات او ١٢ ساعة في كل يوم وبذلك كانت بنية الناشئة تُهدم من اساسها . واضطر البشر لادارة الصناعة الى انزال ملايين منهم الى قلب الارض والمعيشة في ظلام المناجم طول النهار لاستخراج الفحم الحجري . لما حدث كل ذلك قام الفلاسفة وعلماء العمران ينادون بان حسنات هذا التمدن مساوية لسيئاته . وصار الفيلسوف جول سيمون يصيح في فرنسا ملء فمه : ان نصف دم فرنسا يفسد في كل عام . يعني مهاجرة السكان قراهم الى المدن وافساد الرجال آداب العاملات في المعامل

وانه ليطيب لنا الآن ان نقول انه لو قام اليوم اولئك العلماء والفلاسفة من قبورهم وشاهدوا بدء الانقلاب الاجتماعى الذي يحدث في هذه الايام لضاعفوا ثقتهم واملهم في التمدن الحاضر ولعلموا انه سيصلح في المستقبل ما افسده في الماضي . ولبيان ذلك نقول

❊ **الكهربائية تحل البخار** ❊ في ٢ اكتوبر من عام ١٨٢٥ فُتح في انكلترا خطّ حديدي صغير بين درلنتون وستوكتون لتجربة القاطرة البخارية لاول مرة . فنجحت التجربة وكان بها انتصار عظيم لستفنسون مخترع هذه الآلة . وفي العام الحالي بدأت الولايات المتحدة بلاد الكهربائية بتحويل قواطرها البخارية الى قواطر كهربائية . وقد قررت منذ مدة تجربة هذه القواطر في خط يمر في نيويورك طوله ٥٠ كيلومتراً والنفقة اللازمة لوضع الكهربائية فيه موضع البخار ٧٥ مليون فرنك . اما اسباب هذا التغيير فهي تفضيل القواطر الكهربائية لانها اسرع وانظف والخوف من انفجارها قليل لا الرغبة في توفير في النفقة . لانه قد ثبت ان نفقات الكيلومتر الواحد من الخطوط الحديدية لا تنقص اذا سارت قواطره بالكهربائية

غير ثلاثة سنتيمات عن نفقات سيرها بالبخار

فمن ذلك يظهر ان حلول الكهرباء محل البخار قد صار امرًا هينًا وربما الايجيئ عام ١٩٢٥ وهو عيد تذكار مرور مئة سنة على اختراع القواطر البخارية حتي يبطل استعمال البخار في جميع السكك الحديدية (١)

ومتى وُضعت الكهربائية موضع البخار كان لهذا التغيير فائدتان كبيرتان . الفائدة الاولى نقص المستهلك من الفحم الحجري وذهاب الخوف من نفاده . وهذا الخطر صار الانكليز على الخصوص يتهيبونه جدًا في هذا الزمان . ولذلك أَلفوا حديثًا لجنة لفحص مسأَلة الاقتصاد في الفحم . وقد كتب احد علمائهم الى مجلة « الطبيعة » يقول ان الدواء الشافي في هذا الاقتصاد انما هو اختراع آلات بخارية جديدة غير الآلات الحاضرة فان هذه الآلات تبذر الفحم تبذيرًا لانها اذا احرقت طنًا فلا تستفيد من حرارته الا ١٠ في المائة منها والباقي يذهب ضياعًا . فلو كانت تستفيد نصفه او اكثر لحصل اقتصاد عظيم في الفحم الحجري في جميع اقطار الارض

والفائدة الثانية فائدة عمرانية في غاية الاهمية وهي الغرض من كتابة هذه النبذة

الفحم الابيض والفحم الاسود ان السبب الذي يحصل به توفير الفحم الحجري حين استبدال البخار بالكهربائية استغناء الكهربائية عن الفحم وتولدها بقوة المياه المنحدرة من مكان مرتفع وهو ما يسمونه الشلالات . ولذلك لقبوا مياه الشلالات « الفحم الابيض » وطريقة توليد الكهربائية بالشلالات ان تبنى المعامل الكهربائية في الجبال والآكام قرب هذه الشلالات وتستخدم قوة الماء المنصبة منها لتوليد الكهربائية . ومتى تولدت الكهربائية وُزّعت من تلك الجبال على المدن والمعامل التي فيها او في ضواحيها بواسطة اسلاك خصوصية تُمدّ اليها . وبهذه الكهربائية الواردة من الجبال على الاسلاك تسير قواطر السكك الحديدية وتُدار دواليب المعامل وتحدث كل الحركات الصناعية في المدن . وبذلك تصبح مياه الشلالات عبارة عن امواج من ذهب بعد ان كانت تضيع بخارًا في الهواء وماء في البحار كما تضيع اليوم شلالات النيل في مصر

وماذا تكون نتيجة هذا الانقلاب ؟

نتيجته ان الاراضي والآكام القريبة من الانهر والشلالات والجبال تصبح مقصدًا

(١) وقد بدأ عندنا صدى هذا الانقلاب فان سكة حديد الرمل التي كانت مركباتها تُدار بالبخار ستدار في الشهر القادم بالكهربائية

للناس ليقيموا فيها المدن الصناعية فتكون قريبة من المعامل الكهربائية . وعلى ذلك يكون فعل الكهربائية عكس فعل البخار . فان البخار ساق الناس من القرى والحقول وحشرهم في معامل المدن حيث الهواء فاسد والزحام شديد . واما الكهربائية فانها تعيد الناس من المدن الى الجبال والآكام حيث الهواء نقي والابدان سليمة فيعمّرونها ويتمتعون بخيراتها الطبيعية ناسين المدن واقذارها وبذلك يحدثون في الهيئة الاجتماعية اصلاحاً عظيماً . وهذا معنى قولنا ان التمدُّن بدأَ يُصلح ما افسده

وقد بدأَ هذا الاصلاح الاجتماعي فعلاً في الولايات المتحدة التي سبقت العالم في هذه الطريق . فان جهات بوفالو ونياغارى مشهورة الآن بمعاملها الكهربائية التي تدير الحركات الصناعية في تلك الجهات وتنشىء المدن والقرى على جوانبها . وقد اخذت اوروبا تهتمّ بهذا الامر اشدّ اهتمام . فقد عقد بعض علماء فرنسا في الشهر الماضي مؤتمرًا في غرينوبل لفحص شلالات مقاطعة الدوفينه والشروع في استخدامها . وكذلك في ايطاليا حيث استخدمت بعض شلاّلاتها . وغير بعيد ان تأتي قريباً نوبة شلالات النيل في مصر

﴿ كتاب الجزء القادم ﴾ في الجزء القادم تنشر الجامعة الحلقة الرابعة من مشروعها الشهري وهي رواية تاريخية ادبية عنوانها « اسبانيَّة تحب عربياً » وحوادثها حدثت في الاندلس بين الافرنج والعرب وهي لمؤلف من اشهر نوابغ الغرب . وقد وضع فيها اسمى صفات النفس العربية والنفس الاسبانية معاً . وستنشر كاملة ذيلاً للجزء المذكور

﴿ اقتراح تشطير ﴾ اقترحت رصيفتنا جريدة (اقبال) الغراء في بيروت على الادباء تشطير البيتين التاليين وقالت انهما منسوبان لابي حيان وهما

خُلقنا لامرٍ لو علمنا خفيّه لما حبّ منا المرءُ ليلى ولا لبنى
ولكن جهلنا فاستراحت نفوسنا وما تلك الا راحة تُعقب الحزنا

والجامعة تنشر ايضاً كل ما يردها من التشطير لهذين البيتين

﴿ ديوانان ﴾ يعرف محبو الادب في مصر شاعرين مجيدين يشدوان دائماً في حديقة الصحافة شدو البلابل وهما حضرات احمد افندي محرم في الدلنجات واحمد افندي الكاشف في القرشية . وقد عزم هذان الفاضلان على نشر ديوانيهما الاول بعنوان « ارجوزة محرم » والثاني بعنوان « ديوان الكاشف » فمن اراد من قراء الجامعة خارج مصر او داخلها اقتناء هذين الديوانين فليخابر ادارة المجلة

آثار الشرق القديمة

آثار الفينيقيين والعرب

﴿ في جنوبي افريقيه ﴾

اكتشافات جديدة

ليس المستر تشمبرلن وسسل رودس واعوانهما من طلاب الذهب والثروة في جنوبي افريقيا باول من طمعوا في تلك البلاد وذهبوا اليها لاستخراج ذهبها . فان البلاد الرودسية (روديزيا) مملوءة بالآثار القديمة التي اقامتها الامم المتقدمة لاستخراج الذهب منها

ولقد عاد الدكتور لوار من تلك البلاد منذ مدة بعد ان فحص هذه الآثار فحصاً طويلاً وكتب يصفها فقال ما خلاصته

﴿ وصف الآثار ﴾ ان الانسان يعثر في طريقه في روديزيا عند كل خطوة يخطوها على آثار يرجع تاريخها الى ازمنة قديمة متفاوتة . ولكن اهمّ تلك الآثار واسلمها من عوادي الزمان الآثار القائمة في بلاد الشرتر على مسافة ٢٥ كيلومتراً من جنوبي مدينة فيكتوريا . فانها تمتدّ على موازاة نهر لابي حتى متندله وهي قائمة على آكام علوها الف متر عن سطح البحر . واما ارضها فهي من الغرانيت وكل حجارتها مبنية من الغرانيت ايضاً دون تطيين اي ان الحجارة مركبة بعضها فوق بعض من غير طين كما كانت عادة الفينيقيين

وهذه الآثار مؤلفة من عدة مجموعات كل مجموعة منها عبارة عن ثلاثة اقسام . فقسم منها عبارة عن حصن قائم فوق اكمة . وتحت الحصن عدة انقاض قديمة . وفي سفحه دائرة واسعة تحيط بالجميع . وهذه الدائرة مغطاة اليوم بالاشجار والنباتات ولم تكتشف الا بعد تقطيع ما كان حولها . ولا يزال سكان تلك البلاد يتخذون هذه الدوائر لحماية حقول الذره التي يزرعونها فتصبح بها هذه الحقول كأنها مستورة عن الانظار . ولما كانت جدران هذه الدوائر من حجر الغرانيت ايضاً فان الاشجار والنباتات لم تؤثر فيها بكرور الايام . اما محيطها فهو من ٦٠ الى ٨٠ متراً واما علوها فهو من ٥ امتار الى ١١ متراً واما ثخانتها فهي

من مترين الى ٥ امتار · وجدرانها الجنوبية مصنوعة من حجارة منحوتة بدقة هندسية وهي اقوى جدرانها واتقنها

واما مدخل هذه الدائرة فهو من جهة الشمال تجاه القلعة القائمة على الاكمة وعرضه متر واحد · ومن هذا المدخل يُنزل الى داخل الدائرة بدرجات مطيّنة بطين مصنوع من الغرانيت المسحوق · وفي الدائرة مدخلان آخران اضيق من هذا المدخل احدهما الى الغرب والآخر الى الشمال الغربي

واما داخل هذه الخرابات فهو عبارة عن تيه · والقلعة في رأس الاكمة تحميها عقبات موضوعة حولها · وقد ذهب المسيو بنيت العالم الارشيولوجي الانكليزي الى ان اصحاب هذه الخرابات كانوا يعبدون القمر في هذه القلعة ويحرسون منها الابنية · وفي جنوبي هيكل القلعة سلم تؤدي الى مغاور تحت الارض منحوتة في الصخر · وسكان البلاد يتخذون اليوم هذه المغاور ملاجئ لهم من الحر والبرد

هذه لمحة من وصف خرابات الشرترد · وعلى مسافة ١٢ كيلومترًا من هذه الخرابات خرابات زمبابوه القائمة قرب نهر « لوندي » على مسافة ٥٠ كيلومترًا من مدينة فيكتوريا الى الجنوب الغربي وهي عبارة عن حصن مبني من الغرانيت بلا تطيين ايضًا وثخانة جدرانه متر ونصف · وكذلك خرابة اخرى في متندله على شاطئ نهر لابي وهي شبيهة بخرابة زمبابوه · وقد وجدت ايضًا جدران قديمة من نوعها حتى شمالي سالسبوري على شاطئ نهر ماجوي في ماشونالاند

اما الغرض الذي بنيت هذه الحصون والدوائر له فظاهر من الآثار التي وجدت فيها · فان المعاول والفؤوس والحراب والاجراس المزدوجة والمقابض والامخال التي وجدت في هذه الخرابات فضلاً عن آثار استخراج المعادن في المغاور والاقبية الكائنة تحتها — كل ذلك يثبت ان الشعب الذي بنى هذه الابنية كان غرضه استخراج الذهب في ما حواليها

﴿ هل هي اوفير سليمان والفينيقيين ﴾ وبعد البيان الذي تقدّم يلزم ان نتساءل الآن من هم هؤلاء المتقدمون الذين اقاموا منذ قرون عديدة هذه المباني والقلاع والحصون لاستخراج الذهب من الروديزيا

من الثابت ان الشعب الذي بنى هذه الابنية شعب عارف باصول الهندسة القديمة · فليس هو اذًا من الزنوج سكان البلاد الاصليين لان هؤلاء لا يعرفون شيئًا من الحساب وبعضهم وهم البوشمنس لا يعرفون عددًا حسابيًا فوق عدد الثلاثة · وقد بنيت هذه المباني في اماكن

يمكن لبانيها ان يرصد منها الفلك خصوصاً مراقبة الدائرة القطبية . وفي جملة الآثار التي وجدت في هذه الخرابات تماثيل طيور مصنوعة من تراب مخور من خواصها التفتت وهي كثيرة هناك وهذه الطيور مركبة على اعمدة صغيرة يظهر انها كانت زينة للهيا كل . ومناقير هذه الطيور واجنحتها شبيهة بمناقير واجنحة العقبان التي كانت طيوراً مقدسة عند اهل قرطجنة والرومانيين الذين خالطوهم لانها كانت عندهم رمزاً الى الشمس . ولا يخفى ما بين اهل قرطجنة والفينيقيين من الروابط . وفضلاً عن ذلك فان كثيراً من النقوش والرسوم الهندسية وصور البقر التي وجدت على الجدران كلها شبيهة بالآثار الفينيقية التي من نوعها . وقد وجد ايضاً في خرابات زمبامبوه قالباً للمعادن شبيهاً بقالب فينيقي وجد في انكلترا

وما عدا هذا فقد روى هيرودوتس شيخ المؤرخين ان الفينيقيين الذين كانوا في مصر يخدمون الفرعون نيخو (وهو اول من فكر بحفر ترعة السويس لوصل البحرين) ساحوا حول افريقيا في عام ٦٠٠ قبل الميلاد المسيحي وانهم كانوا اول السياح الذين نظروا الشمس الى يمينهم في مسيرها (؟؟) نحو المغرب . ومما لا ريبة فيه لدى المؤرخين ان الشعب الفينيقي قد وصل في اسفاره الى شواطئ افريقيا الشرقية

وبعد ان استشهد الدكتور لوار بما تقدم قال : انهُ من المحتمل ان تكون تلك الخرابات آثار مدينة اوفير القديمة التي كان الفينيقيون يقصدونها سراً في الزمن القديم لجلب الذهب منها والتي كان قبلهم سليمان الحكيم ملك بني اسرائيل يعتمد ايضاً على معادنها الذهبية . وقد اكد هذا الرأي سائح الماني يدعى كارل موش عند سياحتهِ في جنوبي افريقيا في عام ١٨٧١

ولكن الدكتور لوار لا يرى ان هذه الآثار آثار فينيقية فقط بل يقول انها آثار عربية ايضاً . فان العرب قبل الاسلام ملكوا شرقي افريقيا في سنة ٣٥ للميلاد المسيحي . وبعض مؤرخي العرب في القرن التاسع والعاشر يذكرون ثلاث مدن في افريقيا كانت تُسمى بالاسم العربي « لابي » ولا يزال اسم « لابي » اسماً لنهر في تلك البلاد كما تقدم . وفي عام ١٥٠٠ للميلاد صادف فسكودي غاما المشهور تجاراً من العرب في شرقي افريقيا يشتغلون بتجارة شذور الذهب وتبره ووجد في ثغر سوفله القريب من تلك الخرابات وهو ثغرها الطبيعي سفينتين مشحونتين ذهباً . فالراجح ان تلك الآثار آثار فينيقية عربية

هذا ومن المحتمل ان يكون جناب المستر تشمبرلن قد زار الروديزيا في سياحته الاخيرة في الكاب . فاذا كان ممن يهتمون بالآثار القديمة واستوقفت تلك الخرابات نظره فانه ولا بدّ يقف امامها وقفة المتأمل طويلاً ليتبصر في حوادث الزمان التي تُسقط الممالك وتفني

الدول . ولعله يذكر في ذلك الموقف ما قالهُ فولني حين وقفته على اطلال تدمر وخلاصته «ما يدرينا انه لا يقوم في المستقبل سائح شرقي يقف على اطلال لندن وباريز ويندبها كما نندب الآن اطلال الشرق البالية » - على ان هذا الفكر مما يجب ان يجعل الغرب اعدل سياسةً واكثر حكمةً واوسع صدراً مع الشرق وسواه لعل تمدنه الحاضر يسلم من ذلك الناموس الهائل - ناموس الانقراض والفناء الذي ذهبت به المدنيات الماضية

باب الاخبار العلمية

صدق مصدقو الاحلام في شيءٍ

اقتراح على القراء

من الغرائب ان بعض الكتاب والعلماء لا يزالون يشتغلون حتى اليوم بمسألة الاحلام وصحتها . وقد عثرنا على رأْي لاحد الاطباء يقوّي كثيراً اعتقاد بعضهم بصحة الاحلام . وقد قال هذا الطبيب انه لا يبحث في صحة الاحلام فلسفياً لانه لا يعتقد بها ولكنه يعتقد بصحة بعض الاحلام طبياً . واليك بعض الامثلة التي استشهد بها

من ذلك ان مريضاً من مرضاه رأَى في الحلم انه متأَلم الماً شديداً من مرض في جنبه الايسر وقد صار يبكي منه . فلما انتبه صار يضحك من نفسه . ولكنه في الليلة الثانية عاد فرأى نفس الحلم وشعر بثقل شديد في جنبه . وبعد يومين ظهرت قرحة شديدة في المكان المذكور فكاد يقضي نحبه بها

ومنه ان مريضاً آخر شعر في الحلم عدة مرات بان سكيناً تشق بطنه بالم شديد . وبعد مدة قصيرة طرأَ على امعائه مرض كاد يذهب بحياته

فالطبيب صاحب هذه المشاهدات يقول ان صدْق امثال هذه الاحلام الطبية امر معقول وهو طبيعي . لان الاعضاء المستعدة للمرض يظهر استعدادها في الحلم وذلك عن تهيوءٍ للمرض مستمر حتى اذا كملت اسبابه ظهر ظهوراً تاماً . وبذلك تكون اسباب هذه الاحلام طبيعية اي اسباباً معقولة

ولا ريب ان المعتقدين بصحة الاحلام سيتمسكون بهذه الحقيقة الطبيعية الجديدة ويقولون : ما الفرق بين هذه الاحلام التي تصدقونها والاحلام الاخرى التي لا تصدقونها . مثال ذلك ما يأتي : قبل خلع المرحوم اسماعيل باشا الخديوي ببضعة ايام رأى احدهم في حلمٍ ان هذا الخديوي قد سقط من قمة جبل الى الارض . فما معنى هذا السقوط أليس معناه الخلع . وقبل انفجار بركان المرتنيك بيومين رأى بعضهم في اوربا ان الله غضب على فرنسا لاضطهادها الرهبانيات في بلادها فامطرها نارًا . أليس ذلك انذارًا بثوران البركان؟

نقول . بما اننا خرجنا الآن بهذا القول من دائرة التقرير العلمي الى دائرة الفكاهة فاننا نقترح على القراء ان يرسلوا الى الجامعة كل ما يعرفونه من هذا القبيل عن صدق الاحلام **سواء كانوا هم الذين رأوها او كانوا قد سمعوا بها من اصدقائهم** . واذا كان احد منهم مقتنعاً بصحتها فله ان يؤيد رأيه . والجامعة تنشر كل ما يردها بهذا الشأن وتحذف اسم المراسل في رسالته اذا شاء . والغرض من هذا الاقتراح جمع مقالة فكاهية من الاحلام التي يراها الناس وهم بين مصدّقين يعتبرونها انذارًا والهاماً ومكذّبين يعتبرونها ناشئة عن ابخرة المعدة وتصورات الخيال في اثناء رقاد القوة العاقلة

﴿ هبوط مكروبات جديدة للارض ﴾ اثبت المسيو درسونفال العالم الفرنسوي في بلاغ الى المجمع العلمي ان اكثر الميكروبات والجراثيم التي تكون في الهواء لا تموت اذا سيّل ذلك الهواء وحُوّل الى ماء بل تسبت سباتاً في وسط تلك البرودة حتى اذا ارتفعت البرودة عنها عادت الى حياتها الاولى . وعلى ذلك فقد حلّ هذا الاكتشاف الصغير في نظر بعضهم مشكلة كبيرة وهي امكان اتصال الميكروبات والجراثيم من جرم الى جرم في الفضاء دون ان تموت في هذا المرور . فانهُ من المعلوم انّ بعض الاجرام السموية التي هي اراضٍ مثل ارضنا قد تطرأ عليها طوارئ فتنفجر وتتطاير هباء في الهواء فاذا كانت هذه الاجرام مأهولة فان ميكروبات الامراض التي تكون فيها تنتشر في الفضاء وتمرّ في البرودة دون ان تموت حتى تدخل في فلك جرم آخر فتقع عليه . ولذلك قال المسيو فونفيل مازحاً : لا يبعد ان يكون مكروب السل ومكروب داء الكرمة قد هبطا الى الارض حديثاً من جرم آخر في الفضاء لان المتقدمين كانوا يجهلون هذين الدائين . وغيره يعلّل نفسه بان يكتشف طريقة وصول الحياة الى الارض من هذه الطريق . ولكنه رأي بعيد . واذا افترض ثبوته فان ذلك لا يحلّ تلك المشكلة الكبرى بل يبعدها ابعادًا فقط

بان يُسأَل مثلاً : ومن اين اتت تلك الحياة الى الجرم الذي اعطانا الحياة · وهلم جرًّا

﴿ طريقة المصريين في رصد الفلك ﴾ كان قدماء المصريين لا يتركون السماء ساعة واحدة بلا رصد لانهم كانوا يقيمون على هيا كلهم حارساً مخصوصاً لمراقبة السماء وظواهرها · وقد اخذ بعض علماء الفلك يقترحون تقليد هذه الطريقة وذلك باصعاد بالون (منطاد) في الجوّ ووضع آلة للرصد فيه دائماً ليلاً ونهاراً اذ قد تحدث في ساعة واحدة حوادث جوية مهمة والفلكيون غافلون عنها · والظاهر ان استعمال المناطيد (البالونات) سيصير عمومياً في المراصد لانه يمكّن العلماء من مشاهدة السماء صافية ولو كانت غائمة وذلك بالصعود في المناطيد الى ما فوق الغيوم كما صنعوا في الكسوف الماضي · فضلاً عن ان المقيم فوق السحاب في الفضاء يرى من الظواهر الجوية البعيدة ما لا يراه العلماء الجالسون في غرَف المراصد

﴿ الوباء في مصر وفلسطين وفرار الطيور ﴾ بعث الاب فيكتور من دير قرب يافا في فلسطين الى مكتب الميتورولوجيا في فرنسا ملاحظات له بشأن فرار الطيور من الامكنة الموبوءة · فقال انه لما كان في دير قرب الاسكندرونة فشت بعض الحميات في ذلك المكان ففرّت طيور السنونو المعششة هناك ولم تعد الى ما بعد ذهاب الداء · وقد كتب اليه الاب رولان من المنيا (مصر) يقول ان الطيور فرّت من البلد حين انتشار الوباء في الضواحي ولما ذهب الوباء عادت فصار الاهالي يقولون « عادت الطيور وذلك دليل على ذهاب الوباء » وقد لاحظ الاب فيكتور نفسه حين انتشار الوباء في ضواحي ديره في جهات يافا ان السنونو قد هجرَت الدير بالحال لانها في طيرانها السريع تصل الى الضواحي الموبوءة واما العصافير الاعتيادية في الدير فانها لم تهرب لبقائها فيه وعدم خروجها الى الضواحي الموبوءة · واذا اتفق وحضرَت بعض طيور السنونو فانها تكون قادمة حديثاً من اوروبا فلا تلبث ان تفرّ دون ان تلوي على شيءٍ · ويقولون ان سبب ذلك ان تلك الطيور تغتذي من فضلات الناس والذباب الذي يحمل مكروب الداء فلا تأمن ان يصل الوباء اليها عن هذا الطريق

﴿ ترعة السويس وسكة بغداد ﴾ يظهر ان سكة حديد بغداد ستحوّل تجارة الشرق عن ترعة السويس اليها وان هذا هو السبب الذي جعل بعض الحكومات الاوربية تلحّ منذ الان على الباب العالي بانشاء المنائر في البحر الاحمر لتأمين السفن في سيرها تسهيلاً لاتقان الملاحة في هذا الخط من حيث السرعة · واذا كان خط ترعة السويس وخط سكة بغداد سيتزاحمان على تجارة الشرق منذ الآن فان الدولة عملت ضد مصلحتها بانشائها المنائر الاربع

الاخيرة في البحر الاحمر . على انها معذورة في ذلك لانها رأت الحكومة الانكليزية تقترح انشاءها بالحاح وتعرض عليها ان تنشئها هي نفسها . فلو لم تنشئها الدولة لانشأتها الحكومة الانكليزية وجعلت بذلك لنفسها حقوقاً جديدة

الخيول العربية والخيول الانكليزية قال المسيو جفراي في احدى المجلات الفرنسوية ان الجياد العربية هي آباء الخيول الانكليزية الكريمة التي تجري في ميادين السباق ومنها اشتقت كرائم الخيول الاوربية . فان انكليزياً يُدعى دورنلي سافر الى سوريا في سنة ١٧٠٢ واشترى منها مهراً كريماً سماه « درلي العربي » فاعجب الانكليز بنسله ومن ذلك الحين صاروا يفضلون الجواد العربي على كل جواد . وفي عهد لويس السادس عشر اهدى باي تونس الى هذا الملك جواداً عربياً كريماً . فلما شاهده الملك احتقره لانه كان حقير الصورة صغير الجسم ولم يكن الملك يميل لغير الخيول الانكليزية الكبيرة الهامة . فانتهى الامر ببيع هذا الجواد . وفي ذات يوم كان انكليزي آخر يُدعى المستر كوك ماراً بالجسر الجديد في باريز فابصر هذا الجواد يجرّ مركبة عليها برميل ماء فانتبه اليه واحسن الظن فيه لحسن فراسته فابتاعه من صاحبه ببضعة جنيهات فجاء اكرم جواد . وقد سماه صاحبه « كودولفين العربي » ومن هذين الجوادين (درلي العربي وكودولفين العربي) جاءت جميع كرائم الخيول الانكليزية حتى الجواد « اكليبس » الذي ربح في السباق ٦٢٥ الف فرنك في ١٣ شهراً وهو اشهر الجياد الانكليزية

الفضة والمكروب تنمو المكروبات كثيراً على قطع النقود النيكلية والذهبية ولكنها لا تعيش على القطع الفضية الا قليلاً جداً لان الفضة سم قاتل لها . وعلى ذلك فحمل القضبان التي تكون مقابضها مفضضة مما يفيد في قتل الجراثيم التي تعلق في اليد

التصوير على نور الزهرة تمكن بعض المصورين من التصوير الفوتوغرافي على نور الزهرة نجم الصباح فجاءت الصورة واضحة

شفاء الامراض بالنور ابلغ الدكتور كارنول والمسيو تروفه المجمع العلمي انهما شفيا الروماتزم شفاء تاماً بالنور الكهربائي وقد شفياه بضياء النور لا بحرارته لانهما وضعا بينه وبين المريض صندوقاً من زجاج مملوءً بالماء . وقد قوي اعتقاد العلماء بفعل النور في كثير من الامراض الداخلية . وهذا مما يزيد فضل الشمس على الارض وسكانها كما ترى

باب تدبير الصحة

معامل الجمال للسيدات

يعنف بعض الشرقيين سيدات الشرق لصرفهنّ مدة طويلة من وقتهنّ امام المرآة للبس والزينة . وهم يعنفونهنّ على ذلك مع انهنّ لا يهتممنَ ذلك الاهتمام الاّ من اجلهم . فيظهر ان رجال الشرق لا يعرفون مصلحتهم حقّ المعرفة

ولكن اذا وضعنا الهزل جانباً فاننا نجد ان سيدات الشرق مظلومات في هذه التهمة بالنسبة الى سيدات الغرب ولك ان تحكم مما يلي

في اوروبا وخصوصاً في انكلترا نوادي عمومية يتردّد عليها النساء لاصلاح جمالهن كما يتردّد الرجال عندنا على القهاوي والحانات . وهذه النوادي تديرها سيدات من ذوات الظرف والاختبار وفيها كل العطور والادهان والآلات الكربائية اللازمة لاصلاح الجمال

واشهر هذه المعامل معمل انيق في لندن تديرهُ مسز دلي وستون واليك بعض الشؤون التي يشتغل بها هذا المعمل المشهور لدى سيدات الانكليز

ابقاء القامة معتدلة هيفاء ان السيدة التي تريد ابقاء قامتها هيفاء رقيقة معتدلة تقتصر على طعام مخصوص اكثرهُ يكون من اللحم والشاي

ازالة تجعد الوجه هذه هي مسألة المسائل في الجمال . فان الشمس والريح والهموم وكبر السنّ تُحدث في الوجه الجميل غضوناً (تجعدات) تذهب بنضارتهِ وتدل على دخول صاحبتهِ في سنّ العجز . فما الطريقة لمحو هذه الغضون التي ترسمها السنون بيدها القاسية على الوجوه الجميلة ؟ ـ الطريقة لذلك في معمل مدام وستون دلك تلك الغضون باسطوانات كهربائية مخصوصة لهذه الغاية . وبما انه قد ثبت فسيولوجياً ان سبب حدوث هذه الغضون جفاف بشرة الوجه فانهم يجتهدون بدهن الوجه بدهون تجعلهُ ليناً دائماً . وامامنا الآن رسم يمثّل صاحبة المعمل تدلك باسطوانتين كهربائيتين وجه سيدة جميلة جالسة على كرسي بين يديها كما تكوي الغسالة الثياب بمكواتها

﴿ازالة الذقن الثانية﴾ والسيدات ذوات الاجسام السمينة قد تحدث لهنّ غضون فوق الذقن فتكون بمثابة ذقن ثانية . وهنّ يكرهنَ هذه الذقن الثانية جداً وينسبنها الى كبر السنّ مع انها في أغلب الاحيان تكون منتقلةً بالارث . ولذلك يزلنها في هذا المعمل بمدالك كهربائية ايضاً

﴿جعل العينين برّاقتين﴾ وبما ان العينين هما اجمل ما في الوجه بعد الفم اوقبله فانهنَّ في هذا المعمل لا يهملن العيون . ولذلك يوصين السيدات بان يربطن عيونهن بمنديل قبل النوم ويعصبن جباههن . فعصب الجبهة يحول دون تجعدها اذا رأت السيدة احلاماً مزعجة وربط العيون يجعلها برّاقة في الصباح متى وقع عليها النور بعد الظلام

﴿اجراء الدم في الجسم﴾ وبما ان الدم في الجسم يكاد يكون المصدر الاوّل للجمال اذ بهِ بهاؤُهُ ورونقهُ فان السيدات يتخذنَ مطارق صغيرة يطرقنَ بها اجسامهنّ طرقاً خفيفاً لتنشيط الدم واستدعائهِ الى ظاهر الاجسام

﴿تضمير الاعضاء﴾ ولكن وااسفاه ان السيدات لا يقتصرنَ على هذه الطرق السهلة فان بعض القاسيات منهنّ من اصحاب الاجسام الضخمة يحاربن اجسامهن محاربة شديدة لتضميرها وجعلها نحيفة القوام . فيعذبنها بآلات مختلفة قد يبكين احياناً من آلامها . ولكنه بكاءٌ كالضحك

﴿الحواجب والعنق والاهداب﴾ اما الحواجب فلها فن مخصوص يجعلها كالقوسين بازالة كل شعرة نافرة . وكذلك يُعتنى بالاهداب . والعنق تُتعهد بالدهون والطيوب الخصوصية . ويجب تعهد الوجه باجماله مرة واحدة في الاسبوع على الاقل

﴿العناية بالايدي﴾ واما العناية بالايدي فهي فوق كل عناية . فان اظفارها لا تقلّم بالمقص ولكن بشفرة خصوصية تقلّمها بشكل هلال وتتركها طويلة اتباعاً لطريقة الطبقات العالية . وبعد ذلك ينظف داخلها بشفرة دقيقة جداً . ثم يؤْتى باناء فيه ماء ممزوج بطيوب خصوصية مختلفة فتغمس فيه اليدان الواحدة بعد الاخرى وتبقيان بالماء حتى تتشرب البشرة منه . وبعد ذلك تُجفف اليدان وتُتعهد الاظفار بقليل من اللون الاحمر للزيادة في حمرتها الطبيعية متى كانت غير كافية . ثم تنضح اليدان بالكولونيا وتجففا ترويحاً بالمروحة لا بالمنديل لانه من الجناية ان يمسّ المنديل مهما كان ناعماً تلك الايدي التي اعتني بها هذا الاعتناء

﴿اجرة الجلسة الواحدة﴾ اما الجلسة الواحدة لاصلاح اي امر كان في جسم السيدة من الامور التي تقدم ذكرها فان اجرتها ٢٥ فرنكاً (جنيه انكليزي) ولو كانت

ساعة او نصف ساعة

بقيّ علينا بعد ما تقدَّم ان نعلم هل كل ما مرَّ ذكرهُ يجدي نفعاً في زيادة لطف ونباهة الجنس اللطيف ام اللطف والنباهة الحقيقيان من خواص النفس لا من خواص الجسد ولذلك لا تُكتسبان بالتنميق والتزويق بل بحسن التربية والتهذيب

باب التقريظ والانتقاد

الراوي

جريدة يومية لصاحبها جناب يوسف بك طلعت

اذا شكا ارباب الصحافة من كثرة الجرائد فان الجمهور في رأينا يرتاح الى هذه الكثرة لانها تحمل الجرائد على تحسين احوالها طبقاً لناموس المزاحمة الطبيعي · وامامنا الآن العدد الثاني من جريدة يومية صدرت في العاصمة عنوانها « الراوي » وقد تلت ببضعة ايام جريدة « الجوائب المصرية » اليومية التي صدرت حديثاً ايضاً · فنحن نتمنى للرصيفتين كل توفيق ونجاح

لائحة لبنانية

طبعتها ووزَّعتها جريدة المناظر الغرآء بالبرازيل

وردتنا لائحة مرفوعة الى دولتلو مظفر باشا متصرف جبل لبنان وهي تحتوي آراء في اصلاح الجبل وحكومته · وقد وُضعت لفصولها عنوانات رقيقة · منها ما جاء في قاموس لاروس في تحديد كلمة الاستقلال « تكون الامة مستقلة متى كانت سيدة شؤونها » ومنها تعريف الوطنية في كتاب لدالوز « الوطنية هي الرابط الذي يجمع فئة من الناس بمصلحةٍ واحدةٍ في بقعة واحدة · ويزداد هذا الرابط وثوقاً اذا كانت لغة الفئة واحدة » ومنها قول بي ومارغال في كتاب الوطنية « لا تعرف آسيه حتى الآن الحرية التي تتمتع بها اوروبا منذ مدة مديدة · والشعوب الاسيوية لا تزال متقهقرة وراء الشعوب المتمدنة · ذلك

لانتفاء المصالح الوطنية بسبب الجامعة الدينية » ومنها قول لواشنطون في اول خطاب بعث به الى الندوة بعد الاستقلال « يجب ان نوحّد مبدأً الشعب الاميريكي المستقبل بالمدرسة» وفي هذه اللائحة صفحات كثيرة تدل على توقد الغيرة في صدر كاتبها على شؤون وطنه واليك واحدة منها

« اصل تحجب الحكام ياصاحب الدولة عادل ولكن اصل الحكومة اعدل . ويستمر تحجب الحكام عادلاً حتى تكون الهيئة المحكومة اعقل من ان تتهيب الحاكم لمجرد تحجبه ولكن اصل الحكومة يستمرّ عادلاً ابداً

« يتحجب الحاكم ليكون مهاباً . ويجوز له الحجاب مع انه مخالف للمقصود من الحكومة ما زال الشعب شرساً متمرداً لا تردعه عن المنكرات والمعاصي الاّ هيبة الحكومة . فاذا صار الشعب الى ما صار اليه الجمهور اللبناني من السكينة والميل الى التقدم فقد صارت كل معاني الحجاب ضرراً

« لذلك نسأَلك مولاي ان تمزّق الحجاب المسدول بينك وبين الجمهور لتستطيع ان تعلم حالة الرعية التي انت تحكمها

« انك مع التحجب ياصاحب الدولة لا يجالسك غير الرؤساء والاعيان والاغنياء . وهؤلاء لا يحادثونك الا بما يوافقهم . والذي يوافقهم ليس هو ما يصلح للجمهور . فانت مع التحجب للاكليرس والاعيان والاغنياء لا للشعب

« ولست تستطيع ان تمزّق حجاب التحجب الا اذا ابحت المقابلة للجمهور وجعلت لهم ميعاداً اسبوعياً . وهكذا تكون كما بريد جلالة المتبوع الاعظم وكما تريد سفارات البرتوكول متصرفاً للبنان لا للاكليرس ولا للاعيان ولا للاغنياء »

فنحن نرجو ان يوفّق دولتلو مظفر باشا لارضاء اللبنانيين عموماً بسياسة عادلة حكيمة فيها مصلحة جميع طبقات الامة اللبنانية الكريمة

مسيح الهند

لم ننشر للقرآء حتى الآن شيئاً عن رجل هندي ادّعى في الهند انه المسيح وانه جاء للتوفيق بين الناس وجمع كلمتهم لاننا رأينا ان مزاحاً كهذا المزاح ليس يصح الاهتمام به . ولكن حضرته لا يزال يرسل المنشورات التي ينشرها وآخر ما وردنا منه كرّاس من لاهور باللغة الانكليزية . والظاهر من لغة هذا الكراس الفصحى انه

مكتوب بقلم غير قلمه . والغرض من نشره الاقتراح على الحكومة الانكليزية ان تجمع مجمعاً من علماء المسلمين في الهند ليقرّروا ابطال الجهاد وهو اقتراح بارد ولا محلّ له لان جميع عقلاء المسلمين يقولون اليوم ان الجهاد كان واجباً في زمنهِ لحماية الدعوة واما اليوم فلا محلّ لهُ ولا موجب لان جميع البشر صاروا مؤمنين بالله سبحانهُ وتعالى

والذي اضحكنا في كراس مسيح الهند تزلّفهُ الى حكومة الهند تزلُّف التابع للمتبوع دون ان يكتفي بالكلمة المشهورة التي تدلُّ على التابعية والاحتقار معاً وهي « اعطوا ما لقيصر لقيصر » . فهل يا ترى كان المسيح متزلفاً

جريدة الرقيب ومطبوعاتها

اهدتنا ادارة جريدة الرقيب الغرآء خمس روايات ادبية فكاهية مجلدة تجليداً حسناً في مجلد واحد عنوانه « باريس الخفية » وهي من تعريب حضرة الاديب زاكي افندي مابرو وقد نُشرت تباعاً في جريدة الرقيب وتطلب منها ومن جميع المكاتب وثمنها ٢٥ غرشاً صاغاً

ونغتنم هذه الفرصة لشكر رصيفنا الرقيب الاغرّ على نقلهِ الصفحة التي نشرتها الجامعة في غلاف جزئها السابق اعلاناً لكتاب ابن رشد وفلسفتهِ . انما وقع خطاءٌ في عنوان ذلك الفصل فان مرتب حروف الرقيب وضع في العنوان هذه الكلمات « اعلان من ادارة مجلة الجامعة » وظاهر انهُ خطاءٌ مطبعي

وقد طراً في المدة الاخيرة على صحة حضرة صديقنا الفاضل صاحب الرقيب اعتلال خفيف جعلهُ يوقف اصدار جريدته مدة قصيرة ثم تعود الى عالم الصحافة بهمة حضرته ونشاط جناب محرّرها الكاتب الفاضل طانيوس افندي عبده احد محرري جريدة البصير الغرآء الذي يتولى تحريرها منذ مدة بعيدة

مذهب تولستوي

(بقلم جناب سليم افندي قبعين)

طُبع هذا الكتاب على نفقة حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية وهو من تعريب حضرة الاديب سليم افندي قبعين . وقد جمعهُ حضرة معرّبه من اللغة الروسية ومن اللغة العربية ونقل فيه اشياء كثيرة عن الجامعة بعضها ذَكَر الجامعة حين نقله وبعضها اغفل فيه ذكرها كما في الصفحة ٤١ حيث بسط فلسفة تولستوي وآراءه

مع انها مأخوذة كلمة كلمة من ترجمة الجامعة لتولستوي في الجزء الحادي عشر من السنة الثانية · وهذا الكتاب يحتوي خلاصة ترجمة تولستوي ووصف معيشته وآرائهِ وحرم المجمع المقدّس لهُ وردود رجال الدين عليه وهو يُطلب من المكتبة الشرقية في العاصمة وثمنهُ ٦ غروش صاغ

الاخاء

مجلة عمومية ادبية لصاحبها جناب محمود افندي كامل كاشف

صدر الجزء الاول من مجلة عمومية ادبية لصاحبها حضرة الكاتب الفاضل محمود افندي كاشف وادارتها في طوخ (قليوبية) والاخاء اقسام منه قسم اجتماعي وقسم سياسي وقسم ادبي عدا الفوائد والاخبار واشتراكه ٥٠ غرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في الخارج · فنرحب بالرصيفة الجديدة

* **مجلة المفتاح** * اتمت رصيفتنا مجلة المفتاح الغرآء سنتها الثالثة ودخلت في سنتها الرابعة · وقد صدر الجزء الأوَّل منها مصدرًا برسم جان دارك وفيهِ ترجمتها ومقالة في الفلسفة والقانون والموتنتوت وترجمة سقراط ومقالة في سلامة العيون وغير ذلك من الاخبار العلمية والفوائد · فنحن نهنئ الرصيفة بدخولها في سنتها الرابعة

* **النتيجة الشرقية** * اصدر حضرة الكيماوي الاصولي يوسف افندي الخوري صاحب الصيدلية المشهورة في الثغر النتيجة التي اعتاد اصدارها في كل سنة وفيها عدة فوائد ورسوم واعلانات عن بعض العلاجات · وقد اهدانا نسخة منها فنشكر لهُ هديته

* **خريطة جبل لبنان** * وضعت جريدة الرموز الغراء التي تُطبع في البرازيل خريطة لجبل لبنان وهي باوضح شكل واجمل تصوير وقد اهدتنا نسخة منها فنشكرها على هذه الهدية النفيسة ونحث كل لبناني على اقتنائها

* **المنار البيروتي** * دخلت جريدة المنار التي تُطبع في بيروت في سنتها الخامسة وصدر الجزء الاول منها في شكل مجلة يديرها جناب رصيفنا الفاضل روفائيل افندي الياس كاك مدير جريدة المحبة الغراء ويرأس تحريرها جناب الكاتب الفاضل الشيخ رشيد نفاع · فنحن نرحب بالرصيفة في طورها الجديد وندعو لها بالتوفيق في الخدمة النافعة التي تحتاج البلاد اليها

بين شاعرين في مصر

ما فرغتُ من قراءة قصيدة الشاعر الالمعي مصطفى صادق افندي الرافعي التي رثى بها الشرق في الجامعة (الجزء ٩ الصفحة ٦٢٤) حتى وجدتُ في نفسي اثرًا موءلمًا فراجعتُ هذا الصديق الفاضل بالقطعة الآتية ويتلوها ما اجابني به عليها وقد رأيتُ ان ارسلها اليكم للتكرم بنشرها في الجامعة انجازًا لما وعدت به هذا الصديق

قلت

رثيتَ من الشرق مجدًا ذهبْ وعزًّا غدا نهب ايدي النوَب
فذكّرتني موقفًا كانَ لي باطلاله يستثير الكرب
فما وقفَ الدمع حتى جرى ولا هدأ الوجد حتى التهب
بكيتَ فابكيتَ ذا حميةٍ يسعّرها من بكى او ندب
أجدّكَ هل يوقظ النائمين صياح نردده او صخب
بلى وأبيك ولكننا نؤدّي بذلك حقًا وجب
فلا يثنينّك ما قد ترى عن الشعر يُختار او يُنتخب
ألا ربَّ قافيةٍ قلتها يهل الاديب لها والادب
عليك السلام ونلتَ الذي تتوق الى نيله من ارب

فاجاب

أخي هل جرى مدمعٌ فانسكبْ ومسّ الفؤاد جوى فالتهب
لقد كنتُ احسب ان الرقاد خاطَ الجفون بخيط الهدب
ولم ادرِ انك حلف السهاد بلى قد عرفتك حلف الادب
بربك هل أسمعتْ صيحتي وقد خفقتْ من صداها الشهب
فكم قد نظمتَ وكم قد نثرتَ وكم قد نصحتهمو بالخطب
وانَّ قصائدكَ النيرات لكالبدر يُطلع او يُرتقب
اذا صحتَ في شرقنا صيحة وقلتَ ارى الغرب منا اقترب
فما انت مسمعُ من في القبور ولا انت مفزعُ مَنْ في السحب
تخفّضْ عليك عليك السلام ما ذكر الناس فضل العرب

الدلنجات **احمد محرم**